ابن الجوزي الحنبلي

دفع شبهة التشبيه



دفع شبهة التشبيه

والردّ على المجسّمة

ممن ينتحل مذهب الامام احمد رضي الله عنه

للامام ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي

المتوفى ببغداد سنة ٥٩٧ ﻫ رحمه الله

وهو القائل في الامام احمد :

ومذهبه ان لا يشبه ربه ... ويتبع في التسليم من قد مضى قبل
وجاءك قوم يدعون تمذهبا ... بمذهبه ما كل فرع له اصل
ومالوا الى التشبيه اخذاً بصورة الـ ... ـذي نقلوه في الصفات وهم غفل
وقالوا الذي قلناه مذهب احمد ... فمال الى تصديقهم من به جهل
فقد فضحوا ذاك الامام بجهلهم ... ومذهبه التنزيه لكن هم اختلوا
لعمري لقد أدركت منهم مشايخا ... وأ كثر من ادركته ما له عقل
وما زلت أجلو عنهم كل خلة ... من الاعتقاد الرذل كي يجمع الشمل

مطبعة الترقي عام ١٣٤٥ هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

(هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به) .

الحمد لله الذي هدانا صراطاً مستقيماً بالاقرار الخالي عن التشبيه والتعطيل والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي نهى عن عبادة الأصنام والتماثيل . أما بعد فهذا كتاب لابن الجوزي حجبه عنا هذه البرهة — بل عن كثير من اهل الاخصاء في معرفة المؤلفات العربية — فئة من أشياع الذين رد عليهم المصنف عملت على محو اسمه ورسمه ؛ قد حملني على طبعه انتشار كتب المشبهة — مخطوطها ومطبوعها — في الناس ، واشتغال بعض المؤلفين بالدعوة الى التشبيه حتى اليوم ، والحرص على نشر تصانيف ابن الجوزي النافعة وكتب الردود الماتعة .

وقد علقت به ما املى علي جله الاستاذ البحاثة السيد محمد زاهد الكوثري — نزيل القاهرة — ادام الله نفعه .

وحسبنا في ترجمة المصنف ما جمعه العلامة بالكتب العربية السيد محمد امين الخانجي من أقوال العلماء (كابن جبير — تلميذ ابن الجوزي — في رحلته وابن الأثير في كامله وأبي شامة في ذيله على الروضتين والذهبي في تذكرته والعليمي في المنهج الأحمد) في هذا الرجل الخطير ، وسينشره في جزء حافل تحت عنوان : مشاهير المؤلفين .

(حسام الدين القدسي)

قال الشيخ الامام الحافظ العلامة ابو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي الصديقي البكري :

اعلم وفقك الله تعالى انني لما تتبعت مذهب الامام احمد رحمه الله تعالى رأيت الرجل كبير القدر في العلوم ، قد بالغ في النظر في علوم الفقه ومذاهب القدماء حتى لا تأتي مسألة الا وله فيها نص أو تنبيه ، لكنه على طريق السلف فلم يصنف الا المنقول فرأيت مذهبه خالياً من التصانيف التي كثر جنسها عند الخصوم فصنفت تفاسير مطولة : منها « المغني » مجلدات و « زاد المسير » و « تذكرة الأريب » وغير ذلك . وفي الحديث كتباً : منها « جامع المسانيد » و « الحدائق » و « نقي النقل » وكتباً كثيرة في الجرح والتعديل ؛ وما رأيت لهم تعليقة في الخلاف ، الا ان القاضي (ابا يعلى) قال : كنت اقول ما لأهل المذاهب يذكرون الخلاف مع خصومهم ولا يذكرون أحمد[1] ثم عذرتهم اذ ليس لنا تعليقة

(١) كان الامام احمد رضي الله عنه لزم الامام ابا يوسف في بدء امره كما حكى ذلك عنه يحيى بن معين حيث يقول في كتابه — معرفة التاريخ والعلل (رواية ابي العباس الأصم عن ابي الفضل العباس بن محمد الدوري عنه) — : سمعت احمد ابن حنبل يقول : اختلفت الى ابي يوسف ثم اختلفت الى الناس بعده اه . وكان يشتغل بكتب محمد بن الحسن ويستفيد منها أجوبة دقيقة على ما رواه الخطيب باسناده الى الحربي عنه ، وصحب كثيراً من فقهاء العراق وجالس الشافعي في قدمته الثانية ببغداد بعد وفاة محمد فصار له من الفقه حظ وافر ، ومع هذا كله كان الغالب عليه وعلى اصحابه رواية الحديث ولم يكن يجري على طريقة الفقهاء في التفريع —

في الفقـه قال فصنفت لهم تعليقة . قلت وتعليقته لم يحقق فيها بيان الصحة والطعن في المردود وذكر فيهـا اقيسة طردية ، ورأيت من يلقي الدرس من اصحابنا يفزع الى تعليقة الاصطلام أو تعليقة أسعد أو تعليقة العاملي أو تعليقة الشريف ويستعير منها استعارات فصنفت لهم تعاليق : منها كتاب « الانصاف في مسائل الخلاف » ومنها « جَنة النظر وجُنة الفطر » ومنها « عمدة الدلائل في مشهور المسائل » ثم رأيت جمع احاديث التعليق التي يحتج بها اهل المذاهب وبينت تصحيح الصحيح وطعن المطعون فيه وعملت كتاباً في المذهب ادخلتها فيه وسميته « البازي الأشهب المنقض على مخالفي المذهب » وصنفت في الفروع : كتاب

ـ والتأصيل وتبيين مناط الاحكام والتعليل حتى قلّت انفراداته في الفروع عمن تقدمه من الفقهاء، فان خالف الشافعي مثلاً في شيء من قوله الجديد تراه يوافق فيه ابا حنيفة او أحد اصحابه او مالكاً رضي الله عنهم ، فكان يستغني اصحاب كتب الخلاف عن ذكر أقوال احمد بذكر خلاف من تقدمه من الفقهاء ولم يذع تدوين اقواله مع اقوال بقية الفقهاء في كتب الخلاف الا في عهد ابن هبيرة الوزير فانه لما الف افصاحه وخص من بين مجلداته مجلداً ضخماً باختلاف الأئمة الاربعة واعتنى به عناية تامة وسعى في نشره بصرف مبالغ طائلة أخذ من يكتب في الخلاف يذكر اقوال احمد مع اقوال غيره من الأئمة . وكان ابن جرير أدركه سناً وأدرك اصحابه لقاءاً ومع ذلك لم يذكر اقواله فيما كتبه في اختلاف الفقهاء مع ذكره من هو على شاكلة ابي بكر عبد الرحمن بن كيسان الاصم ، فسأله الحنابلة عن ذلك فقال مامعناه : لم يكن احمد من الفقهاء وانما كان من اهل الحديث وما كنت لقيته حتى آخذ منه ولا لقيت اصحاباً له يحق ان يؤخذ منهم فثارت ثائرة الحنابلة عليه وجرى مـا ينقله ياقوت في معجم الادباء وابن الاثير في كامله .

« المذهّب في المذهب » وكتاب « مسبوك الذهب » وكتاب « البلغة » وفي اصول الدين كتاب « منهاج الوصول الى علم الاصول » – وقد بلغت مصنفاتي مائتي مصنف وخمسين مصنفا – .

ورأيت من أصحابنا من تكلم في الأصول بما لا يصلح وانتدب للتصنيف ثلاثة : ابو عبد الله بن حامد (١) وصاحبه القاضي (ابو يعلى) (٢) وابن الزاغوني (٣) فصنفوا كتباً شانوا بها المذهب ورأيتهم قد نزلوا الى مرتبة العوام فحملوا الصفات على مقتضى الحس فسمعوا ان الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه الصلاة والسلام على صورته فأثبتوا له صورة

---

(١) هو شيخ الحنابلة ابو عبد الله الحسن بن حامد بن علي البغدادي الوراق المتوفى سنة ثلاث واربعمائة ، كان من اكبر مصنفيهم ، له شرح اصول الدين ، فيه طامات سيورد المصنف بعضها ولديه تخرج القاضي ابو يعلى الحنبلي .

(٢) هو القاضي ابو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء الحنبلي المتوفى سنة ثمان وخمسين واربعمائة ، وفيه يقول ابو محمد التميمي ما معناه : لقد شان ابو يعلى الحنابلة شيئاً لا يغسله ماء البحار ، على مانقله ابن الاثير وابو الفداء . وعزا في طبقاته الى الامام احمد ما يبعد أن يصح عنه كل البعد . ونقل ابن بدران الدشتي في جزء اثبات الحد عن كتاب الاصول لابي يعلى هذا ما هو افظع مما سينقله المصنف عنه في التشبيه على تضارب في اقواله بين تنزيه وتشبيه . ولا يخفى على الناظر انه غير الحافظ ابي يعلى احمد بن علي الموصلي صاحب المسند وراوي كتب ابي يوسف عن بشر بن الوليد .

(٣) هو ابو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر الزاغوني الحنبلي المتوفى سنة سبع وعشرين وخمسمائة ، وهو من مشايخ المصنف وله في كتاب الايضاح من غرائب التشبيه ما يحار فيه النبيه .

ووجها زائداً على الذات وعينين وفما ولهوات واضراساً واضواءً[1] لوجهه هي السبحات و يدين وأصابع وكفاً وخنصراً وابهاماً وصدراً وفخذاً وساقين ورجلين وقالوا ماسمعنا بذكر الرأس وقالوا يجوز أن يمس و يُمس و يدنى العبد من ذاته وقال بعضهم ويتنفس ، ثم انهم يرضون العوام بقولهم لا كما يُعقل ؛ وقد اخذوا بالظاهر في الاسماء والصفات فسموها بالصفات تسمية مبتدعة لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل ولم يلتفتوا الى النصوص الصارفة عن الظواهر الى المعاني الواجبة لله تعالى ولا الى الغاء ما توجبه الظواهر من سمات الحدث ولم يقنعوا بأن يقولوا صفة فعل حتى قالوا صفة ذات ، ثم لما اثبتوا أنها صفات قالوا لا نحملها على توجيه اللغة مثل يد على نعمة وقدرة ولا مجيء واتيان على معنى برّ ولطف ولا ساق على شدة ، بل قالوا نحملها على ظواهرها المتعارفة ، والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميين والشيء انما يحمل على حقيقته اذا امكن فان صرف صارف حمل على المجاز ، ثم يتحرجون من التشبيه و يأنفون من اضافته اليهم و يقولون نحن اهل السنة ، وكلامهم صريح في التشبيه وقد تبعهم خلق من العوام ، وقد نصحت التابع والمتبوع فقلت لهم : يا اصحابنا انتم اصحاب نقل واتباع وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يقول وهو تحت السياط : كيف اقول ما لم يقل[1] يا كم ان تبتدعوا في مذهبه ماليس منه ؛ ثم قلتم في

---

(١) ولما سئل الامام احمد عن أحاديث النزول والرؤية ووضع القدم ونحوها.

الأحاديث تحمل على ظاهرها فظاهر القدم الجارحة فانه لما قيل في عيسى عليه الصلاة والسلام (روح الله) اعتقدت النصارى لعنهم الله تعالى ان لله سبحانه وتعالى صفة هي روح ولجت في مريم . ومن قال استوى بذاته المقدسة فقد أجراه سبحانه وتعالى مجرى الحسيات وينبغي ان لا يهمل ما يثبت به الأصل وهو العقل فانا به عرفنا الله تعالى وحكمنا له بالقدم فلو أنكم قلتم نقرأ الاحاديث ونسكت لما أنكر أحد عليكم ، انما حملكم اياها على الظاهر قبيح (١) فلا تدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح

ـ قال : (نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى) ، وقال ايضاً يوم سألوه عن الاستواء : (استوى على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف) على ما ذكره الخلال في السنة بسنده الى حنبل عن عمه الامام احمد . وهذا تفويض وتنزيه كما هو مذهب السلف ، وربما اول في بعض المواضع كما حكى حنبل ايضاً عن الامام احمد انه سمعه يقول : احتجوا علي يوم المناظرة فقالوا : تجيء يوم القيامة سورة البقرة وتجيء سورة تبارك قال فقلت لهم : انما هو الثواب قال الله جل ذكره (وجاء ربك والملك صفاً صفا) وانما تأتي قدرته . وقال ابن حزم الظاهري في فصله : وقد روينا عن احمد بن حنبل رحمه الله انه قال: (وجاء ربك) انما معناه : وجاء امر ربك اه . وهذا تأويل وتنزيه كما هو مذهب الخلف ، واما ما ينقل عن الامام احمد مما يخالف ما تقدم فهو تخرص صديق جاهل وسوء فهم لمذهب هذا الامام .

(١) يقول العلامة الشيخ محمد عبده رحمه الله فيما كتبه على العضدية عند الكلام على حديث افتراق الامة : فان قلت ان كلام الله وكلام النبي صلى الله عليه وسلم مؤلف من الالفاظ العربية ومدلولاتها معلومة لدى اهل اللغة فيجب الاخذ بحاق مدلول اللفظ كان ما كان قلت حينئذ لم يكن ناجياً الا طائفة المجسمة الظاهريون القائلون بوجوب الأخذ بجميع النصوص وترك طريق الاستدلال رأساً مع انه ـ

السلفي ماليس منه فلقد كسيتم هذا المذهب شيئاً قبيحاً ، حتى صار لا يقال عن حنبلي الا مجسم ، ثم زينتم مذهبكم أيضاً بالعصبية ليزيد بن معاوية وقد علمتم ان صاحب المذهب أجاز لعنته وقد كان ابو محمد التميمي يقول في بعض ائمتكم[1] لقد شان المذهب شيئاً قبيحاً لا يغسل الى يوم القيامة .

* * *

فصل : وقد وقع غلط المصنفين الذين ذكرتهم في سبعة أوجه — أولها انهم سموا الأخبار أخبار صفات وإنما هي اضافات وليس كل مضاف صفة فانه قال تعالى (ونفخت فيه من روحي) وليس لله صفة تسمى روحاً فقد ابتدع من سمي المضاف صفة . والثاني انهم قالوا هذه الأحاديث من المتشابه الذي لا يعلمه الا الله تعالى ، ثم قالوا نحملها على ظواهرها فوا عجبا ما لا يعلمه الا الله تعالى أي ظاهر له ؟ وهل ظاهر الاستواء الا القعود وظاهر النزول الا الانتقال ! . والثالث انهم اثبتوا لله سبحانه وتعالى صفات وصفات الحق جل جلاله لا تثبت الا بما تثبت

ـ لا يخفى ما في آراء هذه الطائفة من الاختلال مع سلوكهم طريقاً ليس يفيد اليقين بوجه فان للتخاطبات مناسبات تود بمطابقتها فلا سبيل الا الى الاستدلال وتأويل ما يبدي بظاهره نقصاً الى ما يفيد الكمال واذ صح التأويل للبرهان في شيء صح في بقية الاشياء حيث لا فرق بين برهان و برهان ولا لفظ ولفظ .

(١) وهو القاضي ابو يعلى المتقدم

به الذات من الأدلة القطعية . والرابع انهم لم يفرقوا في الاثبات بين خبر مشهور كقوله صلى الله عليه وسلم — ينزل تعالى الى السماء الدنيا — وبين حديث لا يصح كقوله « رأيت ربي في أحسن صورة » بل أثبتوا بهذا صفة وبهذا صفة . والخامس انهم لم يفرقوا بين حديث مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم وبين حديث موقوف على صحابي أو تابعي فأثبتوا بهذا ما أثبتوا بهذا . والسادس انهم تأولوا بعض الألفاظ في موضع ولم يتأولوها في موضع كقوله — ومن أتاني يمشي أتيته هرولة — قالوا ضرب مثلاً للإنعام . والسابع انهم حملوا الأحاديث على مقتضى الحس فقالوا : ينزل بذاته وينتقل ويتحول ، ثم قالوا لا كما نعقل فغالطوا من يسمع وكابروا الحس والعقل فحملوا الأحاديث على الحسيات .

فرأيت الردّ عليهم لازماً لئلا ينسب الامام احمد رحمه الله الى ذلك واذا سكتُّ نسبتُ الى اعتقادي ذلك ولا يهولني امر يعظم في النفوس لأن العمل على الدليل وخصوصاً في معرفة الحق تعالى لا يجوز فيها التقليد . وقد سئل الامام احمد رحمه الله عن مسألة فأفتى فيها فقيل : هذا لايقول به ابن المبارك فقال : ابن المبارك لم ينزل من السماء . وقال الامام الشافعي رحمه الله تعالى : استخرت الله تعالي في الرد على الامام مالك رحمه الله .

ولما صنف هؤلاء الثلاثة كتباً وانفرد القاضي (أبو يعلى) فصنف الأحاديث ذكرتها على ترتيبه وقدمت عليها الآيات الشريفة التي وردت في ذلك .

﴿ باب ما جاء في القرآن العظيم من ذلك ﴾

قال الله سبحانه وتعالى (و يبقى وجه ربك)[1] قال المفسرون : يبقى ربك ، وكذا قالوا في قوله تعالى (يريدون وجهه) أي يريدونه ، وقال الضحاك وأبو عبيدة (كل شيء هالك الا وجهه) أي الا هو . وقد ذهب الذين أنكرنا عليهم الى ان الوجه صفة يختص باسم زائد على الذات . فمن أين قالوا هذا وليس لهم دليل الا ما عرفوه من الحسيات وذلك يوجب التبعيض ولو كان كما قالوا كان المعنى ان ذاته تهلك الا وجهه ، وقال ابن حامد : أثبتنا لله تعالى وجهاً ولا يجوز اثبات رأس . قلت ولقد اقشعر بدني من جراءته على ذكر هذا فما أعوزه في التشبيه غير الرأس .

ومنها قوله تعالى (ولتصنع على عيني) ، (واصنع الفلك بأعيننا)[2]

(١) قال الزمخشري في الكشاف : (وجه ربك) ذاته ، والوجه يعبر به عن الجملة والذات ، ومساكين مكة يقولون : اين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان .

(٢) يقول الزمخشري : (بأعيننا) في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظاً وحقيقته ملتبساً بأعيننا كأن لله معه اعيناً تكلؤه أن يزيغ في صنعته عن الصواب وان لا يحول بينه و بين عمله احد من اعدائه . هـ و يقول الرازي في اساس التقديس عند الكلام على العين : لا بد من المصير الى التأويل وذلك هو ان يحمل هذه الألفاظ على شدة العناية والحراسة ، والوجه في حسن هذا المجاز ان من عظمت عنايته بشيء وميله اليه ورغبته فيه كان كثير النظر اليه فجعل لفظ العين التي هي آلة لذلك النظر كناية عن شدة العناية .

اي برأى منا وانما جمع لأن عادة الملك ان يقول أمرنا ونهينـا . وقد ذهب القاضي (أبويعلى) الى ان العين صفة زائدة على الذات وقد سبقه أبو بكر بن خزيمة (١) فقال في الآية : لربنا عينان ينظر بهما ، وقال ابن حامد : يجب الايمان ان له عينين . وهذا ابتداع لا دليل لهم عليه ، وانما أثبتوا عينين من دليل الخطاب في قوله صلى الله عليه وسلم — ليس بأعور (٢) — وانما اريد نفي النقص عنه تعالى ومتى ثبت انه لا يتجزأ لم يكن لما يتخايل من الصفات وجه .

ومنها قوله تعالى (لمـا خلقت بيديّ) (٣) اليـد في اللغة بمعنى النعمة

---

(١) هو محمد بن اسحاق بن خزيمة النيسابوري توفي عام أحد عشر وثلثمائة ، يعدّ في أكابر المحدثين ، كان يورع نفسه عن الخوض في مسائل الكلام و ينهى اصحابه عنه ، ثم اضطره بعض أهل النظر الى الدخول في هذه المآزم فزلت قدمه وخرج الى وجوه غير معقولة سامحه الله .

(٢) طالع الحديث الخمسين الآتي ترى مزيد تفصيل عن هذا الخبر .

(٣) يقول الزمخشري : ان ذا اليدين يباشر أكثر اعماله بيديه فغلب العمل باليدين على سائر الأعمال التي تباشر بغيرهما حتى قيل في عمل القلب : هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدي له : يداك أوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك : هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك . ه وقال الراغب الاصبهاني في مفرداته : قوله تعالى (مما عملت أيدينا) وقوله (لما خلقت بيديّ) عبارة عن توليه لخلقه باختراعه الذي ليس الا له عز وجل وخص لفظ اليد ليتصور لنا المعنى اذ هو أجل الجوارح التي يتولى بها الفعل فيما بيننا ليتصور لنا اختصاص المعنى لا لنتصور منه تشبيها ، وقيل معناه بنعمتي التي رشحتها لهم ، والباء فيه ليس كالباء في قولهم :

والاحسان ومعنى قول اليهود لعنهم الله تعالى (يد الله مغلولة) اسي محبوسة عن النفقة ، واليد القوة يقولون : له بهذا الامر يد . وقوله (بل يداه مبسوطتان) اي نعمته وقدرته (١) وقوله (لما خلقت بيدي) اي بقدرتي ونعمتي وقال الحسن (يد الله فوق أيديهم) اي منته واحسانه ، هذا كلام المحققين . وقال القاضي (ابو يعلى) اليدان صفتان ذاتيتان تسميان باليدين . وهذا تصرف بالرأي لا دليل عليه ، وقال لو لم يكن لآدم عليه الصلاة والسلام مزية على سائر الحيوانات بخلقه باليد التي هي صفة لما عظمه بذكرها وأجله فقال (بيديّ) ولو كانت القدرة لما كانت له مزية ولو كانت القدرة لم تثنّ قلنا بلى قالت العرب ليس لي بهذا الأمر يدان أي ليس لي به قدرة ، قال عروة بن حزام :

فقالا شفاك الله والله مالنا بما ضمنت منك الضلوع يدان

قطعته بالسكين بل هو كقولهم : خرج بسيفه أي معه سيفه ، معناه خلقته ومعه نعمتاي الدنيوية والأخروية اللتان اذا رعاها بلغ بها السعادة الكبرى .

وقال العلامة الشيخ جمال الدين القاسمي في تفسيره محاسن التأويل : (لما خلقت بيديّ) أي بنفسي من غير توسط كأب وأم .

(١) فى اساس التقديس لمجدد القرن السادس الفخر الرازي : والسبب في حسن هذا المجاز أن كمال حال هذا العضو إنما يظهر بالصفة المسماة بالقدرة فلما كان المقصود من اليد حصول القدرة أطلق اسم القدرة على اليد ، ولأن آلة إعطاء النعمة اليد فإطلاق اسم اليد على النعمة اطلاق لاسم السبب على المسبب .

وقولهم : ميزه بذلك عن الحيوان فقد قال تعالى (خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما) ولم يدلّ على تمييز الأنعام على بقية الحيوان ؛ قال تعالى (والسماء بنيناها بأيد) اي بقوة ثم قد أخبر أنه قد نفخ فيه من روحه ولم يرد الوضع بالفعل والتكوين ، والمعنى نفخت انا و يكفي شرف الاضافة اذ لا يليق بالخالق جل جلاله سوى ذلك لأنه لا يحتاج ان يفعل بواسطة ولا له اعضاء وجوارح يفعل بها لأنه تعالى الغني بذاته ؛ فلا ينبغي ان يتشاغل بطلب تعظيم آدم عليه الصلاة والسلام مع الغفلة عما يستحقه البارىء سبحانه من التعظيم بنفي الأبعاض والآلات في الافعال لأن هذه الأشياء صفة الأجسام . وقد ظن بعض الثلاثة ان الله تعالى يمسّ حتى توهموا انه مس طينة آدم بيد هي بعض ذاته وما فطنوا ان من جملة مخلوقاته جسماً يقابل جسما فيتحد به و يفعل فيه ، أفتراه سبحانه وتعالى جعل أفعال الأشخاص والأجسام تتعدى الى اجسام بعيدة ثم يحتاج هو في أفعاله الى معاناة الطين ؛ وقد ردّ قول من قال هذا بقوله تعالى (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) .

ومنها قوله تعالى (و يحذركم الله نفسه) وقوله تعالى (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) قال المفسرون : و يحذركم الله إياه وقالوا تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك ، وقال المحققون : المراد بالنفس ههنا الذات ، ونفس الشيء ذاته . وقد ذهب القاضي (ابو يعلى) الى ان

لله تعالى نفساً وهي صفة زائدة علَى ذاته . وهذا قول لا يستند الا الى التشبيه لأَنه يوجب ان الذات شيء والنفس غيرها .

ومنها قوله تعالى (ليس كمثله شيء)[1] ظاهر الكلام ان له مثلا فليس كمثله شيء وليس كذلك ، انما معناه عند أهل اللغة أن يقام المثل مقام الشيء نفسه يقول الرجل مثلي لا يكلم مثلك وانما المعنى ليس كهو شيء .

ومنها قوله تعالى (يوم يُكشف عن ساق)[2] قال جمهور العلماء :

---

(١) يقول الزمخشري في الكشاف : قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لأنهم اذا نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ، ونظيره : قولك للعربي : العرب لا تخفر الذمم كان ابلغ من قولك : أنت لا تخفر ، ومنه قولهم : قد أيفعت لداته و بلغت أترابه يريدون ايفاعه و بلوغه اه .

وقال الراغب : ان الند يقال فيما يشارك في الجوهر فقط والشبه يقال فيما يشارك في الكيفية فقط والمساوي يقال فيما يشارك في الكمية فقط والشكل يقال فيما يشاركه في القدر والمساحة فقط والمثل عام في جميع ذلك ولهذا لما اراد الله نفي التشبيه من كل وجه خصه بالذكر فقال (ليس كمثله شيء) وأما الجمع بين الكاف والمثل فقد قيل ذلك لتأكيد النفي تنبيهاً على انه لايصح استعمال المثل ولا الكاف فنفى بليس الأمرين جميعا ، وقيل المثل ههنا بمعنى الصفة ومعناه : ليس كصفته صفة تنبيهاً على انه وان وصف بكثير مما يوصف به البشر فليس تلك الصفات له على حسب ما يستعمل في البشر .

(٢) ومما قاله الرازي في تفسير هذه الآية : يوم يكشف عن ساق جهنم أو عن ساق العرش أ عن ساق ملك مهيب عظيم واللفظ لا يدل الا على ساق فاما ان ذلك الساق ساق أي شيء هو فليس في اللفظ مايدل عليه .

يكشف عن شدة وأنشدوا : « وقامت الحرب على ساق »(١) وقال آخر : « وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا » قال ابن قتيبة : وأصل هذا ان الرجل اذا وقع في امر عظيم يحتاج الى معاناة الجد فيه شمر عن ساقه فاستعيرت الساق في موضع الشدة وهذا قول الفراء وأبي عبيدة وثعلب واللغويين . ، وروى البخاري ومسلم في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يكشف عن ساقه(٢) وهذه اضافة اليه معناها

وفي محاسن التأويل للعلامة الجمال القاسمي رحمه الله : وقال أبو سعيد الضرير : أي يوم يكشف عن أصل الأمر ، وساق الشيء أصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الانسان ، أي تظهر يوم القيامة حقائق الأشياء وأصولها فالساق بمعنى أصل الأمر وحقيقته استعارة من ساق الشجر .

(١) قال البيهقي في كتابه (الأسماء والصفات) عند الاستشهاد بهذا الكلام من الشعر : عن ابن عباس أنه سئل عن قوله تعالى (يوم يكشف عن ساق) فقال : اذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه من الشعر فانه ديوان العرب .

(٢) في صحيح البخاري : ثنا آدم ثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول — يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة . . — الحديث . ، قال الحافظ ابن حجر : ووقع في هذا الموضع (يكشف ربنا عن ساقه) وهو من رواية سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم فأخرجها الاسماعيلي كذلك ثم قال : في قوله عن ساقه نكرة ثم أخرجه من طريق حفص بن ميسرة عن زيد ابن أسلم بلفظ — يكشف عن ساق — قال الاسماعيلي هذه أصح لموافقتها لفظ القرآن في الجملة اه .

وقد أخذ ابن شاقلاً على البخاري اخراجه حديث الساق في صحيحه لأنه من

يكشف عن شدته وأفعاله المضافة اليه ومعنى يكشف عنها يزيلها ، وقال عاصم بن كليب رأيت سعيد بن جبير غضب وقال : يقولون يكشف عن ساقه وانما ذلك من امر شديد وقد ذكر أبو عمر الزاهد : ان الساق بمعنى النفس قال ومنه قول علي رضي الله عنه لما قالت الشراة لا حكم الا لله تعالى فقال : لا بد من محاربتهم ولو تلفت ساقي . ، فعلى هذا يكون المعنى يتجلى لهم . وفي حديث أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : يكشف لهم الحجاب فينظرون الى الله عز وجل فيخرون لله سجداً ويبقى اقوام في ظهورهم مثل صياصي البقر يريدون السجود فلا يستطيعون فذلك قوله تعالى (يوم يُكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون) . وقد ذهب القاضي (ابو يعلى) الى ان الساق صفة ذاتية وقال : مثله يضع قدمه في النار وحكى عن ابن مسعود قال يكشف عن ساقه اليمنى فتضيء من نور ساقه الأرض قلت وذكره الساق مع القدم تشبيه محض وما ذكره عن ابن مسعود محال ولا يثبت لله تعالى صفة بمثل هذه الخرافات ولا توصف ذاته بنور شعاعي تضيء به الارض واحتجاجه بالاضافة ليس بشيء لأنه اذا كشف عن شدته فقد كشف عن ساقه ، وهؤلاء وقع لهم ان معنى يكشف يظهر وانما المعنى يزيل ويرفع . وقال ابن حامد يجب الايمان بان لله سبحانه

رواية ابن أبي هلال ويراه ليس من شرطه لضعفه . وقال ابن حزم ايضاً : ابن أبي هلال ليس بالقوي قد ذكره بالتخليط يحيي وأحمد بن حنبل .

وتعالى ساقاً صفة لذاته فمن جحد ذلك كفر . قلت لو تكلم بهذا عامي جلف كان قبيحا فكيف من ينسب الى العلم فان المتأولين اعذر منهم لأنهم يردون الأمر الى اللغة وهؤلاء أثبتوا ساقاً للذات وقدما حتي يتحقق التجسيم والصورة .

ومنها قوله تعالى (ثم استوى على العرش)[1] قال الخليل بن احمد : العرش السرير وكل سرير لملك يسمى عرشاً والعرش مشهور عند

(١) يقول الآلوسي في تفسيره : والناس في الكلام على هذه الآية ونحوها مختلفون فمنهم من فسر العرش بالمعنى المشهور وفسر الاستواء بالاستقرار وروي ذلك عن الكلبي ومقاتل ورواه البيهقي في (الأسماء والصفات) بروايات كثيرة عن جماعة من السلف وضعفها كلها . وما روي عن مالك رضي الله عنه انه سئل كيف استوى فأطرق رأسه ملياً حتي علته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ثم قال للسائل : وما أظنك الا ضالاً ثم أمر به فأخرج ليس نصاً في هذا المذهب لاحتمال ان يكون المراد من قوله : (غير مجهول) انه ثابت معلوم الثبوت لا ان معناه الاستقرار وهو غير مجهول . وقال في موضع آخر : والى نحو هذا ذهب الشيخ عز الدين بن عبد السلام فقال في بعض فتاويه : طريقة التأويل بشرطه وهو قرب التأويل أقرب الى الحق لأن الله تعالى انما خاطب العرب بما يعرفونه وقد نصب الأدلة على مراده من آيات كتابه لأنه سبحانه قال : ثم ان علينا بيانه ولتبين للناس ما نزل اليهم ، وهذا عام في جميع آيات القرآن فمن وقف على الدليل أفهمه الله مراده من كتابه وهو اكمل ممن لم يقف على ذلك اذ لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون هـ . وفيه توسط في المسألة ، وقد توسط ابن الهمام في (المسايرة) وقد بلغ رتبة الاجتهاد كما قال عصرينا ابن عابدين الشامي في

العرب في الجاهلية والاسلام قال تعالى (ورفع ابويه على العرش) وقال تعالى (ايكم يأتيني بعرشها) ، اعلم ان الاستواء في اللغة على وجوه : منها الاعتدال قال بعض بني تميم : — فاستوى ظالم العشيرة والمظلوم — أيـ اعتدلا ، والاستواء تمام الشيء قال الله تعـالى (ولما بلغ أشده واستوى) ، والاستواء القصد الى الشيء قال الله تعالى (ثم استوى الى السماء) أي قصد خلقها والاستواء الاستيلاء عَلَى الشيء قال الشاعر :

اذا ما غزا قومـاً أباح حريمهم وأضحى على ماملكوه قد استوى

وروى اسماعيل بن أبي خالد الطـائي قال : العرش ياقوتة حمراء . وجميع السلف عَلَى ايراد هذه الآية كما جاءت من غير تفسير ولا تأويل ، وقد حمل قوم من المتأخرين هذه الصفة على مقتضى الحس فقالوا استوى على العرش بذاته . وهذه زيادة لم ينقلوها انما فهموها من احساسهم وهو أن المستوي على الشيء انما يستوي عليه ذاته . قال ابن حامد الاستواء

(رد المحتار) توسطاً أخص من هذا التوسط فذكر ما حاصله : وجوب الايمان بأنه تعالى استوى على العرش مع نفي التشبيه وأما كون المراد استولى فأمر جائز الارادة لا واجبها اذ لا دليل عليه ، واذا خيف على العامة عدم فهم الاستواء اذا لم يكن بمعنى الاستيلاء الا بالاتصال ونحوه من لوازم الجسمية فلا بأس بصرف فهمهم الى الاستيلاء فانه قد ثبت اطلاقه عليه لغة في قوله :

فلما علونا واستوينا عليهم جعلناهم مرعى لنسر وطائر

وقوله : قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

مماسة وصفة لذاته والمراد به القعود(١) قال وقد ذهبت طائفة من اصحابنا الى ان الله تعالى على عرشه ما ملأه وانه يُقعد نبيه معه على العرش وقال والنزول انتقال. وعلى ما حكي تكون ذاته اصغر من العرش فالعجب من قول هذا ما نحن مجسمة. وقيل لابن الزاغوني هل تجددت له صفة لم تكن بعد خلق العرش قال لا انما خلق العالم بصفة التحت فصار العالم بالاضافة اليه اسفل فاذا ثبتت لاحدى الذاتين صفة التحت ثبت للآخر استحقاق صفة الفوق، قال وقد ثبت ان الأماكن ليست في ذاته ولا ذاته فيها فثبت انفصاله عنها ولا بد من بدء يحصل به الفصل فلما قال استوى علمنا اختصاصه بتلك الجهة، قال ولا بد أن يكون لذاته نهاية وغاية يعلمها. قلت هذا رجل لا يدري ما يقول لأنه اذا قدر غاية وفصلا بين الخالق والمخلوق فقد حدده وأقر بأنه جسم وهو يقول

---

(١) قال الجلال الدواني في شرح العضدية: وقد رأيت في بعض تصانيف (ابن تيمية) القول به (أي بالقدم النوعي) في العرش اهـ. وقال الشيخ محمد عبده فيما علقه عليه: وذلك ان ابن تيمية كان من الحنابلة الآخذين بظواهر الآيات والاحاديث القائلين بأن الله استوى على العرش جلوساً، فلما أورد عليه انه يلزم ان يكون العرش أزلياً لما ان الله أزلي فمكانه أزلي، وأزلية العرش خلاف مذهبه قال انه قديم بالنوع أي ان الله لا يزال يعدم عرشاً ويحدث آخر من الأزل الى الأبد حتى يكون له الاستواء أزلاً وأبدا ولننظر اين يكون الله بين الاعدام والايجاد هل يزول عن الاستواء فليقل به أزلا فسبحان الله ما أجهل الانسان وما أشنع ما يرضى لنفسه، ولست أعرف هل قال ابن تيمية بشيء من ذلك على التحقيق وكثيراً ما نقل عنه مالم يقله هـ.

في كتابه انه ليس بجوهر لأن الجوهر ما تحيز ثم يثبت له مكاناً يتحيز فيه ، قلت وهذا كلام جهل من قائله وتشبيه محض فما عرف هذا الشيخ ما يجب للخالق تعالى وما يستحيل عليه فان وجوده تعالى ليس كوجود الجواهر والأجسام التي لا بد لها من حيز والتحت والفوق انما يكون فيما يقابل ويحاذى ومن ضرورة المحاذى ان يكون اكبر من المحاذي أو أصغر أو مثله وان هذا ومثله إنما يكون في الاجسام وكل ما يحاذي الأجسام يجوز ان يمسها وما جاز عليه مماسة الأجسام ومباينتها فهو حادث اذ قد ثبت ان الدليل على حدوث الجواهر قبولها المماسة والمباينة فان اجازوا هذا عليه قالوا بجواز حدثه وإن منعوا جواز هذا عليه لم يبق لنا طريق لاثبات حدث الجواهر ومتى قدرنا مستغنياً عن المحل والحيز ومحتاجاً الى الحيز ثم قلنا اما ان يكونا متجاورين او متباينين كان ذلك محالاً فان التجاور والتباين من لوازم التحيز في المتحيزات وقد ثبت ان الاجتماع والافتراق من لوازم التحيز والحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالتحيز لأنه لو كان متحيزاً لم يخل اما ان يكون ساكنا في حيزه او متحركا عنه ولا يجوز أن يوصف بحركة ولا سكون ولا اجتماع ولا افتراق ومن جاور أو باين فقد تناهى ذاتاً والتناهي اذا اختص بمقدار استدعى مخصصا ، وكذا ينبغي ان يقال ليس بداخل في العالم وليس بخارج منه لأن الدخول والخروج من لوازم المتحيزات فهما كالحركة والسكون وسائر الأعراض التي تخص بالأجرام . واما قولهم خلق الأماكن لا في ذاته

فثبت انفصاله عنها قلنا ذاته المقدسة لا تقبل ان يخلق فيها شيء ولا ان يحل فيها شيء وقد حملهم الحس على التشبيه والتخليط حتى قال بعضهم انما ذكر الاستواء على العرش لأنه اقرب الموجودات اليه . وهذا جهل ايضاً لأن قرب المسافة لا يتصور الا في جسم ، ويعز علينا كيف ينسب هذا القائل الى مذهبنا ؛ واحتج بعضهم بأنه على العرش بقوله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وبقوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده) وجعلوا ذلك فوقية حسية ونسوا أن الفوقية الحسية إما ان تكون لجسم أو جوهر وان الفوقية قد تطلق لعلو المرتبة فيقال : فلان فوق فلان[1] ثم انه كما قال تعالى فوق عباده قال تعالى (وهو معكم) فمن حملها على العلم حمل خصمه الاستواء على القهر[2] . وذهبت طائفة الى ان الله تعالى على عرشه قد ملأه والأشبه انه مماس للعرش والكرسي موضع

---

(١) في التفسير الكبير للفخر الرازي : العالم كرة واذا كان الامر كذلك امتنع أن يكون إله العالم حاصلا في جهة فوق ، اذا فرضنا انسانين وقف أحدهما على نقطة المشرق والآخر على نقطة المغرب صار أخمص قدميهما متقابلين والذي هو فوق بالنسبة لأحدهما يكون تحت بالنسبة الى الثاني ، وكونه تعالى تحت أهل الدنيا محال بالاتفاق فوجب ان لا يكون في حيز معين .

(٢) يقول الفخر الرازي في أساس التقديس : إن ظاهر قوله تعالى (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وقوله (وهو معكم اينما كنتم) وقوله (وهو الذي في السماء إله وفي الارض إله) ينفي كونه مستقراً على العرش ، وليس تأويل هذه الآيات لتبقى الآيات التي تمسكوا بها على ظاهرها أولى من العكس اه .

قدميه . قلت المماسة انما تقع بين جسمين وما أبقى هذا في التجسيم بقية .

* * *

فصل : فان قيل فقد أخرج في الصحيحين من حديث شريك بن أبي نمر عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه انه ذكر المعراج فقال فيه : فعلا به الى الجبار تعالى فقال وهو في مكانه يا رب خفف عنا .

الجواب : أن أبا سليمان الخطابي قال هذه لفظة تفرد بها شريك ولم يذكرها غيره وهو كثير التفرد بمناكير الألفاظ والمكان لا يضاف الى الله تعالى انما هو مكان النبي صلى الله عليه وسلم ومقامه الأول الذي أقيم فيه وفي هذا الحديث — فاستأذنت على ربي وهو في داره — يوهم مكانا وانما المعنى في داره التي دورها لأوليائه[1] ؛ وقد قال القاضي (ابو يعلى) في كتابه المعتمد : ان الله عز وجل لا يوصف بالمكان .

ومن الآيات قوله تعالى (ءَأَمِنتم من في السماء)[2] قد ثبت قطعاً

(١) زاد البيهقي في كتابه الاسماء والصفات : (وهي الجنة)

(٢) قال الفخر الرازي في تفسير هذه الآية : ان هذه الآية لا يمكن اجراؤها على ظاهرها باتفاق المسلمين لأن كونه في السماء يقتضي كون السماء محيطاً به من جميع الجوانب فيكون أصغر من السماء والسماء أصغر من العرش بكثير فيلزم ان يكون الله تعالى شيئاً حقيراً بالنسبة الى العرش وذلك باتفاق أهل الاسلام محال . وقال الزمخشري ووافقه الفخر : (مَن في السماء) فيه وجهان أحدهما مَن ملكوته في السماء لأنها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه ، والثاني انهم كانوا يعتقدون

ان الآية ليست على ظاهرها لأن لفظة (في) للظرفية والحق سبحانه وتعالى غير مظروف واذا منع الحس ان ينصرف الى مثل هذا بقي وصف العظيم بما هو عظيم عند الخلق ٠

ومنها قوله تعالى (يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله)[1] اي في طاعته وأمره لان التفريط لا يقع الا في ذاته واما الجنب المعهود

التشبيه وأنه في السماء وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم : أأمنتم من تزعمون أنه في السماء وهو متعال عن المكان أن يعذبكم بخسف او بحاصب كما تقول لبعض المشبهة : اما تخاف من فوق العرش ان يعاقبك بما تفعل اذا رأيته يركب بعض المعاصي ، وقال الرازي ايضاً : والغرض من ذكر السماء تفخيم سلطان الله وتعظيم قدرته كما قال (وهو الله في السموات وفي الارض) فان الشيء الواحد لا يكون دفعة واحدة في مكانين ، وقال ايضاً : لم لا يجوز أن يكون المراد بقوله (من في السماء) هو الملك الموكل بالعذاب وهو جبريل عليه السلام ٠

(١) يقول الزمخشري في كشافه : والجنب الجانب ، يقال : انا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب ، ثم قالوا : فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه ، قال سابق البربري :

اما تتقين الله في جنب وامق   له كبد حرى عليك تقطع

وقال السيد محمود الآلوسي في تفسيره (روح المعاني) : وبالجملة لا يمكن ابقاء الكلام على حقيقته لتنزهه عز وجل من الجنب بالمعنى الحقيقي ولم أقف على عد أحد من السلف اياه من الصفات السمعية ، ولا أعول على ما في المواقف ، وعلى فرض العد كلامهم فيها شهير وكلهم مجمعون على التنزيه وسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وفي حرف عبد الله وحفصة (في ذكر الله) ٠ ه وقال العلامة القاسمي في تفسيرها : اي في جانب أمره ونهيه اذ لم أتبع أحسن ما أنزل ٠

من ذي الجوارح فلا يقع فيه تفريط . وقال ابن حامد نؤمن بان لله سبحانه وتعالى جنباً بهذه الآية . فوا عجبا من عدم العقول اذا لم يتهيأ التفريط في جنب مخلوق فكيف يتهيأ في صفة الخالق جل جلاله وأنشد ثعلبة : خليليَّ كفا واذكرا الله في جنبي : أي في أمري .

ومنها قوله تعالى (فنفخنا فيه من روحنا)[١] قال المفسرون أي من رحمتنا وانما نسب الروح اليه لأنه بأمره كان .

ومنها قوله تعالى (يؤذون الله)[٢] أي يؤذون أولياءه كقوله تعالى (واسئل القرية أي أهلها) وقال صلى الله عليه وسلم – أحد جبل يحبنا ونحبه – وقال الشاعر :

أُنبئت ان النار بعدك أُوقدت واستبَّ بعدك يا كليب المجلس

ومنها قوله تعالى (هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام)[٣] أي بظلل وكذلك قوله تعالى (وجاء ربك) ذكر القاضي

---

(١) قال الشهاب الآلوسي : (ونفخت فيه من روحي) تمثيل لافاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها فليس ثمة نفخ ولا منفوخ أي فاذا أكملت استعداده وأفضت عليه ما يحيا به من الروح الطاهرة التي هي أمري .

(٢) قال الآلوسي (ان الذين يؤذون الله ورسوله) أريد بالايذاء اما ارتكاب ما لا يرضيانه من الكفر وكبائر المعاصي مجازاً لأنه سبب او لازم له وان كان ذلك بالنظر اليه تعالى بالنسبة الى غيره سبحانه فانه كاف في العلاقة ، وقيل في ايذائه تعالى هو قول اليهود والنصارى والمشركين : يد الله مغلولة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

(٣) ومما قاله جار الله الزمخشري : ويجوز أن يكون المأتي به محذوفاً بمعنى ان

(أبو يعلى) عن الامام احمد بن حنبل انه قال في قوله تعالى (ان يأتيهم الله) قال المراد به قدرته وأمره قال وقد بينه في قوله تعالى (أو يأتي أمر ربك) ومثل هذا في التوراة (وجاء ربك) قال إنما هي قدرته .

قال ابن حامد وهذا خطأ انما ينزل بذاته بانتقال . قلت وهذا كلام في ذات الله تعالى بمقتضي الحس كما يتكلم في الأجسام .

قال ابن عقيل في قوله تعالى (قل الروح من أمر ربي) قال من

يأتيهم الله ببأسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله (فان الله عزيز) ، فان قلت : لم يأتيهم العذاب في الغمام ؟ قلت لأن الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول لأن الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ، ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ، ومن ثمة اشتد على المتفكرين في كتاب الله قوله تعالى (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) ﻫ . وساق الفخر الرازي في هذا المعنى فصلا مشبعاً — شأنه في تفسير آيات الصفات — الى ان قال : ان قوله (يأتيهم الله) وقوله (وجاء ربك) اخبار عن حال القيامة ثم ذكر هذه الواقعة بعينها في سورة النحل فقال (هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك) فصار هذا المحكم مفسراً لذلك المتشابه لأن كل هذه الآيات لما وردت في واقعة واحدة لم يبعد حمل بعضها على بعض ، وقال تعالى بعده (وقضي الأمر) ولا شك ان الألف واللام للمعهود السابق فلا بد وأن يكون قد جرى ذكر امر قبل ذلك حتى تكون الالف واللام اشارة اليه وما ذاك الا الذي أضمرناه من ان قوله (يأتيهم الله) أي يأتيهم أمر الله . وأنهى كلامه بقوله : والذي هو أوضح عندي من كل ما سلف انا ذكرنا ان قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) انما نزلت في

كيف خلقه عن السؤال عن مخلوق فكيفهم عن الخالق وصفاته اولى وأنشدوا :

كيفية النفس ليس المرء يدركها　　فكيف كيفية الجبار في القدم

﴿ باب ذكر الأحاديث التي سموها أخبار الصفات ﴾

اعلم ان في الاحاديث دقائق وآفات لا يعرفها الا العلماء الفقهاء تارة في نقلها وتارة في كشف معناها وسنوضح ذلك ان شاء الله تعالى .

الحديث الاول : روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم – خلق الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام على صورته –(١) .

حق اليهود وعلى هذا التقدير فقوله (فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم) يكون خطاباً مع اليهود وحينئذ يكون قوله تعالى (هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) ، حكاية عن اليهود ، والمعنى انهم لايقبلون دينك الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ، ألا ترى انهم فعلوا مع موسى مثل ذلك فقالوا (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) ، واذا كان هذا حكاية عن حال اليهود لم يمنع اجراء الآية على ظاهرها وذلك لأن اليهود كانوا على مذهب التشبيه وكانوا يجوزون على الله المجيء والذهاب وكانوا يقولون : انه تعالى تجلى لموسى عليه السلام على الطور في ظلل من الغمام وطلبوا مثل ذلك في زمن محمد عليه الصلاة والسلام .

(١) يقول الراغب الاصفهاني : الصورة اراد بها ما خص الانسان بها من الهيئة المدركة بالبصر والبصيرة وبها فضله على كثير من خلقه ، واضافته الى الله سبحانه

للناس في هذا مذهبان : أحدهما السكوت عن تفسيره والثاني الكلام في معناه ، واختلف ارباب هذا المذهب في الهاء الى من تعود على ثلاثة اقوال : أحدها تعود الى بعض بني آدم قال وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم مرّ برجل يضرب رجلاً وهو يقول : قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فقال صلى الله عليه وسلم — اذا ضرب احدكم فليتق الوجه فان الله تعالى خلق آدم على صورته — وانما خصّ آدم بالذكر لأنه هو الذي ابتدئت خلقة وجهه على هذه الصورة التي احتذى عليها من بعده وكأنه نبه على انك سببت آدم وانت من ولده وذلك مبالغة في زجره فعلى هذا تكون الهاء كناية عن المضروب[1] .

ومن الخطأ الفاحش ان ترجع الى الله عز وجل لقوله ووجه من اشبه وجهك فانه اذا نسبه اليه سبحانه كان تشبيهاً صريحا . وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال — اذا قاتل احدكم فليجتنب الوجه فان الله تعالى خلق آدم

عَلَى سبيل الملك لا على سبيل البعضية والتشبيه تعالى عن ذلك وذلك على سبيل التشريف له كقوله بيت الله وناقة الله ونحو ذلك ونفخت فيه من روحي

(١) مما أورده الرازي في تأويل هذا الخبر قوله : ان المراد منه ابطال قول من يقول ان آدم كان على صورة اخرى مثل ما يقال انه كان عظيم الجثة طويل القامة بحيث يكون رأسه قريبًا من السماء فالنبي عليه السلام أشار الى انسان معين (وهو المضروب) وقال — ان الله خلق آدم على صورته — أي كان شكل آدم مثل شكل هذا الانسان من غير تفاوت البتة .

على صورته — . القول الثاني ان الهاء كناية عن اسمين ظاهرين فلا يصلح ان تصرف الى الله عز وجل لقيام الدليل انه تعالى ليس بذي صورة فعادت الى آدم ، ومعنى الحديث ان الله تعالى خلق آدم على صورته التي خلقه عليها تاما لم ينقله من نطفة الى علقة كبنيه [1] . هذا مذهب أبي سليمان الخطابي وقد ذكره ثعلب في أماليه . القول الثالث انها تعود الى الله تعالى وفي معنى ذلك قولان : احدهما ان تكون صورة ملك لأنها فعله وخلقه فتكون اضافتها اليه من وجهين : احدهما التشريف بالاضافة كقوله تعالى (وطهر بيتي للطائفين) والثاني ابتدعها لا على مثال سبق . والقول الثاني ان تكون الصورة بمعنى الصفة تقول هذا صورة هذا الأمر أي صفته ويكون خلق آدم على صفته من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والارادة فميزه بذلك عن جميع الحيوانات ثم ميزه على الملائكة بصفة التعالي حين أسجدهم له ، والصورة ههنا معنوية لا صورة تخاطيط . وقد ذهب ابو محمد بن قتيبة [2] في

---

(١) ومن الوجوه التي سردها الفخر في هذا المقام قوله : انه تعالى لما عظم امر آدم بجعله مسجود الملائكة ، ثم انه أتى بتلك الزلة فالله تعالى لم يعاقبه بمثل ما عاقب به غيره فانه نقل ان الله تعالى اخرجه من الجنة وأخرج معه الحية والطاووس وغير تعالى خلقهما مع انه لم يغير خلقة آدم بل تركه على الخلقة الأولى اكراماً له وصوناً له عن عذاب المسخ ه . وذهب البيهقي هذا المذهب .

(٢) هو صاحب التصانيف أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة أحد أئمة الادب ، اخباري ، قليل الرواية ، قد يعتمد في التشبيه على ما يرويه من كتب

هـذا الحديث الى مذهب قبيح فقال لله تعالى صورة لا كالصور فخلق آدم عليها . وهذا تخليط وتهافت لأن معني كلامه ان صورة آدم كصورة الحق تعالى . وقال القاضي (أبو يعلى) يطلق على الحق تعالى تسمية الصورة لا كالصور كما أطلقنا اسم ذاته . وهذا تخليط لأن الذات بمعنى شيء ، وأما الصورة فهي هيئة وتخاطيط وتأليف ويفتقر الى مصور ومؤلف وقول القائل لا كالصور نقض لما قاله وصار بمثابة من يقول جسم لا كالأجسام فان الجسم ما كان مؤلفاً فاذا قال لا كالأجسام نقض ما قال .

. . .

الحديث الثاني : روى عبد الرحمن بن عياش عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : رأيت ربي في احسن صورة فقال لي فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد قلت انت اعلم يارب فوضع كفه بين كتفي" فوجدت بردها بين ثديي" فعلمت ما في السموات والارض . قال الامام احمد اصل هذا الحديث وطرقه مضطربة وقد روي من حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتاني آت في أحسن صورة فقال فيم يختصم الملأ الأعلى فقلت لا أدري فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعرفت كل شيء يسألني عنه ، وروي من

اهل الكتاب ، يتهم بالنصب ، كذبه الحاكم ووثقه غيره ، مات عام ست وسبعين ومائتين . على أنَّ له أحياناً حطَّات حديثية في ابطال مزاعم المشبهة ، قد أثبتنا بعضها في التعليق .

حديث ثوبان قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الصبح فقال: ان ربي اتاني الليلة في احسن صورة فقال لي يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى قلت لا اعلم يا رب فوضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله في صدري فتجلى لي ما بين السماء والأرض. وهذه احاديث مختلفة وأحسن طرقها يدل على ان ذلك كان في النوم ورؤيا المنام وهم والأوهام لا تكون حقائق[1] وان الانسان يرى كأنه يطير أو كأنه قد صار بهيمة وقد رأى اقوام في منامهم الحق سبحانه على ما ذكرنا؛ وان قلنا انه رآه في اليقظة فالصورة ان قلنا ترجع الى الله تعالى فالمعنى رأيته على احسن صفاته من الاقبال علي والرضى عني وان قلنا ترجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمعنى رأيته وأنا على أحسن صورة[2]. وروى ابن حامد من حديث

---

(١) يقول الحافظ ابن حجر في مثل هذا المقام: ولا التفات الى من تعقب كلامه بقوله: في الحديث الصحيح (ان رؤيا الانبياء وحي) فلا يحتاج الى تعبير لأنه كلام من لم يمعن النظر في هذا المحل فقد تقدم في كتاب التعبير ان بعض رؤى الانبياء يقبل التعبير اه.

(٢) بقي على المؤلف ان يتكلم على عجز الحديث ونحن ننقل عن (أساس التقديس) للفخر الرازي ما يفي بالغرض: وأما قوله — وضع يده بين كتفي — ففيه وجهان: الاول المراد منه المبالغة في الاهتمام بحاله والاعتناء بشأنه. الثاني ان يكون المراد من اليد النعمة. وأما قوله — بين كتفي — فان صح فالمراد منه انه أوصل الى قلبه من أنواع اللطف والرحمة. وأما قوله — فوجدت بردها — فيحتمل أن المعنى برد النعمة وروحها وراحتها من قولهم: عيش بارد اذا كان

ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: لما اسري بي رأيت الرحمن تعالى في صورة شاب أمرد له نور يتلألأ وعن عن (١) وصفه لكم فسألت ربي أن يكرمني برؤيته واذا كأنه عروس حين كشف عنه حجابه مستو على عرشه . وهذا الحديث كذب قبيح ما روي قط لا في صحيح ولا في كذب فأبعد الله تعالى من عمله فقد كنا نقول ذاك منام فيذكر هذا ليلة الاسراء كافأهم الله عز وجل وجزاهم النار يشبهون الله سبحانه وتعالى بعروس ما كتب هذا مسلم . واما حديث البرد في الحديث الماضي فان البرد عرض لا يجوز أن ينسب الى الله عز وجل وقد ذكر القاضي (أبويعلى) في كتابه الكناية (رأيت ربي في احسن صورة) اي في أحسن موضع .

. . .

الحديث الثالث : روت ام الطفيل امرأة ابيّ انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر أنه رأى ربه عز وجل في المنام في احسن صورة شاباً منوراً في خضر في رجليه نعلان من ذهب وعلى وجهه فراش من ذهب . هذا الحديث يرويه نعيم بن حماد قال ابن عدي كان يضع الحديث وسئل الامام احمد فأعرض بوجهه عنه وقال حديثه منكر مجهول . وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال

رغدا ، والذى يدل على أن المراد منه كمال المعارف قوله عليه السلام في آخر الحديث — فعلمت ما بين المشرق والمغرب هـ. (١) هكذا في الاصل المحفوظ لدينا

رأيت ربي جعداً أمرد عليه حلة خضراء . وهذا مروي من طريق حماد بن سلمة وكان ابن ابي العوجاء الزنديق ربيب حماد وكان يدس في كتبه هذه الاحاديث لا ثبوت لها ولا يحسن ان يحتج بها .
وقد اثبت القاضي (ابو يعلى) صفات لله تعالى فقال قوله شاب وأمرد وجعد وقطط والفراش والنعلان والتاج قال ثبت ذلك تسمية لا نعقل معناها . ومن يثبت بالمنام وما صح نقله صفات ! وقد عرفنا معنى الشاب والأمرد ثم يقول ما هو كما نعلم كمن يقول قام فلان وما هو بقائم وقعد وما هو بقاعد ، قال ابن عقيل هذا الحديث نجزم بأنه كذب ثم لا تنفع ثقة الرواة اذا كان المتن مستحيلاً وصار هذا كما لو أخبرنا جماعة من المعدلين بأن جمل البزاز دخل في خرم ابرة الخياط فانه لا حكم لصدق الرواة مع استحالة خبرهم .

. . .

الحديث الرابع : روي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليلة أسري بي رأيت كل شيء من ربي حتى رأيت تاجاً مخوصاً من لؤلؤ . هذا يرويه ابو القاسم محمد بن اليسع عن قاسم بن ابراهيم ، قال الازهري كنت اقعد مع ابن اليسع ساعة فيقول قد ختمت الختمة منذ قعدت وقاسم ليس بشيء ، قال الدار قطني هو كذاب . كافأ الله تعالى من عمل هذا .

. . .

الحديث الخامس : روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (يجمع الله الناس فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبعون ما كانوا يعبدون وتبقى هذه الامة بمنافقيها فيأتيهم الله تعالى في غير الصورة التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله تعالى منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم في الصورة التي يعرفونها فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا) . وفي الصحيحين من حديث ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها اول مرة فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فلا يكلمه الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيقال هل بينكم وبينه آية تعرفونها فيقولون الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن)[1] . اعلم انه يجب على كل مسلم ان يعتقد ان الله سبحانه وتعالى لا يجوز عليه الصورة التي هي هيئة وتأليف ؛ قال ابو سليمان الخطابي معنى فيأتيهم الله تعالى اي يكشف الحجاب لهم حتى يرونه عياناً كما كانوا عرفوه في الدنيا استدلالاً فرؤيته بعد أن لم يكونوا رأوه بمنزلة اتيان الآتي لم يكن شوهد قبل . وقال بعض العلماء يأتيهم بأهوال القيامة وصور الملائكة[2] ولم يعهدوا مثله

(١) تقدم الكلام على هذا الحديث عند تفسير قوله تعالى (يوم يكشف عن ساق) ص ١٤ .

(٢) باعتبار (في) بمعنى الباء ونظيره قول ابن عباس في قوله تعالى

في الدنيا فيستعيذون من تلك الحال ويقول اذا جاء ربنا عرفناه أي اذا أتانا بما نعرفه من لطفه وهي الصورة التي يعرفون فيكشف عن ساق أي عن شدة كأنه يرفع تلك الشدائد المهولة فيسجدون شكرا ؛ وقال بعضهم صورة يمتحنهم بها كما يبعث الدجال فيقولون نعوذ بالله تعالى منك . وفي حديث ابي موسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الناس يقولون إن لنا رباً كنا نعبده في الدنيا فيقال أو تعرفونه اذا رأيتموه فيقولون نعم فيقال كيف تعرفونه ولم تروه فيقولون انه لاشبيه له فيكشف الحجاب فينظرون الى الله عز وجل فيخرون سجدا) . قال ابن عقيل الصورة على الحقيقة تقع على التخاطيط والأشكال وذلك من صفات الأجسام والذي صرفنا عن كونه جسماً من الادلة القطعية قوله تعالى (ليس كمثله شيء) ومن الادلة العقلية انه لو كان جسماً كانت صورته عرضاً ولو كان حامل الأعراض جاز عليه ما يجوز على الأجسام وافتقر الى صانع ولو كان جسماً مع قدمه جاز قدم أحدنا فأحوجتنا الأدلة الى تأويل صورة يليق اضافتها اليه وما ذلك الا الحال الذي يوقع عليها اهل اللغة اسم صورة فيقولون كيف صورتك مع فلان ، وفلان على صورة من الفقر ؛ والحال التي انكروها العسف والتي يعرفونها اللطف فيكشف عن الشدة ، والتغير انما يليق بفعله

(هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام) أي بظلل من الغمام على ما نقله الفخر الرازي في كتابه (أساس التقديس) .

فأما ذاته فتعالت عن التغير ، نعوذ بالله ان يحمل الحديث على ما قالته المجسمة ان الصورة ترجع الى ذاته وان ذلك تجويز التغير علَى صفاته نخرجوه في صورة ان كانت حقيقة فذاك استحالة وان كان تخيلاً فليس ذاك هو انما يريهم غيره .

. . .

الحديث السادس : روى مسلم في صحيحه من حديث المغيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال — لا شخص اغير من الله ولذلك حرم الفواحش ولاشخص أحب اليه المدحة من الله — .

لفظة الشخص يرويها بعض الرواة ويروي بعضهم — لا شيء أغير من الله — والرواة يروون بما يظنونه المعنى وكذلك شخص من تغيير الرواة وقد يكون المعنى ليس منكم أيها الاشخاص أغير من الله لأنه لما اجتمع الكل بالذكر سمي باسمائهم والشخص لا يكون الا جسماً مؤلفاً ومثل هذا قول ابن مسعود : وما خلق من جنة ولا نار أعظم من آية الكرسي ؛ قال الامام احمد بن حنبل الخلق يرجع الى الجنة والنار لا الى القرآن . ويجوز ان يكون هذا من باب المستثنى من غير الجنس كقوله تعالى (ما لهم به من علم الا اتباع الظن) واما الغيرة فقد قالت العلماء كل من غار من شيء اشتدت كراهته له فلما حرم الفواحش ووعد عليها وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغيرة .

. . .

الحديث السابع : روى ابو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال — ان الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض[1] — .

وانما اضيفت القبضة لأن افعال المملوك تنسب الى المالك وذلك انه بعث من قبض كقوله تعالى (فطمسنا اعينهم) وقد روى محمد بن سعد في كتاب الطبقات ان الله تعالى بعث ابليس فأخذ من اديم الارض فخلق منه آدم فمن ثم قال (أأسجد لمن خلقت طينا) .

. . .

الحديث الثامن : روى سلمان قال ان الله لما خمر طينة آدم وضرب بيديه فيه فخرج كل طيب في يمينه وكل خبيث في يده الأخرى ثم خلط بينهما فمن ثم يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي .

وهذا مرسل وقد ثبت بالدليل ان الحق سبحانه وتعالى لا يوصف بمس شيء وان صح فيضرب مثلا لما جرت به الأقدار ، وقال القاضي (أبويعلى) : تخمير الطين وخلط بعضه ببعض مضاف الى اليد التي خلق بها آدم . وهذا التشبيه المحض .

. . .

الحديث التاسع : روى عبيد بن حنين قال بينا أنا جالس في المسجد اذ جاء قتادة بن النعمان فجلس فتحدث ثم قال انطلق بنا الى أبي سعيد

---

(١) يقول السيوطي في الجامع الكبير : اخرجه ابو داود والترمذي وأحمد والحاكم والبيهقي في السنن والطبراني في الكبير وابن سعد .

الخدري فانه قد اخبرت انه قد اشتكى فانطلقنا حتى دخلنا على أبي سعيد فوجدناه مستلقياً واضعاً رجله اليمنى على اليسرى فسلمنا عليه وجلسنا فرفع قتادة يده الى رجل أبي سعيد الخدري وقرصها قرصة شديدة فقال أبو سعيد سبحان الله يا ابن أم أوجعتني قال ذلك أردت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال — ان الله تعالى لما قضى خلقه استلقى ثم وضع احدى رجليه على الأخرى ثم قال لا ينبغي لأحد من خلقي ان يفعل هذا -- قال ابو سعيد لا جرم لا افعله ابدا[1] .

قال عبد الله بن حنبل ما رأيت هذا الحديث في دواوين الشريعة المعتمد عليها ؛ واما عبيد بن حنين فقال : البخاري لا يصح حديثه في أهل المدينة . وفي الحديث علة اخرى وهي ان قتادة بن النعمان مات في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه وعبيد بن حنين مات سنة خمس ومائة وله خمس وسبعون سنة في قول الواقدي فتكون روايته عن قتادة بن النعمان منقطعة ، قال الامام احمد ثم لو صح طريقه احتمل ان

(١) روى الحافظ البيهقي هذا الخبر في (الاسماء والصفات) وقال : فهذا حديث منكر ولم اكتبه الا من هذا الوجه وفليح بن سليمان — أحد رواته — مع كونه من شرط البخاري ومسلم فلم يخرجا حديثه هذا في الصحيح وهو عند الحفاظ غير محتج به ، عن يحيى بن معين يقول : فليح بن سليمان لا يحتج بحديثه ، عنه يقول : فليح ضعيف ، وعن النسائي انه قال فليح ليس بالقوي قال الشيخ : فاذا كان فليح بن سليمان المدني مختلفاً في جواز الاحتجاج به عند الحفاظ لم يثبت بروايته مثل هذا الأمر العظيم ه . وذكر ايضاً علة عدم اجتماع عبيد بقتادة .

يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم حدث به عن بعض اهل الكتاب على طريق الانكار عليهم فلم يفهم قتادة انكاره ·

ومن هذا الفن حديث رويناه ان الزبير سمع رجلا يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمع له الزبير حتى اذا قضى الرجل حديثه قال له الزبير انت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الرجل نعم ، قال هذا وأشباهه مما يمنعان ان نحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قد لعمري سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا يومئذ حاضر ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم · ابتدأ بهذا الحديث فحدثناه عن رجل من أهل الكتاب حدثه يومئذ فجئت انت بعد انقضاء صدر الحديث وذكر الرجل الذي هو من أهل الكتاب فظننت انه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم · قلت وغالب الظن ان الاشارة في حديث الزبير الى حديث قتادة فان أهل الكتاب قالوا : إن الله تعالى لما خلق السموات والأرض استراح فنزل قوله تعالى (وما مسّنا من لُغوب) فيمكن ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم حكى ذلك عنهم ولم يسمع قتادة أول الكلام ·

وقد روى عبد الرحمن بن احمد في كتاب السنة قال رأيت الحسن قد وضع رجله اليمنى على شماله وهو قاعد فقلت يا أبا سعيد تكره هذه القعدة فقال قاتل الله اليهود ثم قرأ قوله تعالى (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب) فعرفت ماعنى به

فأمسكت . قلت وانما اشار الحسن الى ما ذكرناه عن اليهود .

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما انهم كانوا يستلقون و يضعون رجلا على رجل وانما يكره هذا لمن لا سراويل له والله اعلم .

. . .

الحديث العاشر: روى القاضي (أبويعلى) عن حسان بن عطية ان رجلا من المشركين سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمل عليه رجل من المسلمين فقتله وقتل الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تعجبون من نصر الله تعالى ورسوله لقي الله تعالى متكئاً فقعد له .

هذا حديث مقطوع بعيد عن الصحة ولو كان له وجه كان المعنى فأقبل الله تعالى عليه وأنعم .

. . .

الحديث الحادي عشر: روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال — لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها الى بعض[1] .

---

(١) يقول جار الله الزمخشري في كتابه (الفائق في غريب الحديث) : وضع القدم على الشيء مثل للردع والقمع فكأنه قال : يأتيها امر الله فيكفها عن طلب

قلت الواجب علينا ان نعتقد ان ذات الله عز وجل لا تتبعض ولا يحويها مكان ولا توصف بالتغير ولا بالانتقال ، وقد حكى ابو عبيد الهروي عن الحسن البصري انه قال : القدم هم الذين قدمهم الله لها من شرار خلقه وأثبتهم لها ، وقال ابو منصور الازهري : القدم الذين تقدم القول بتخليدهم في النار يقال لما قدم قدم ولما هدم هدم ، ويؤيد هذا قوله واما الجنة فينشيء لها خلقا ؛ ووجه ثان أن كل قادم عليها يسمى قدما فالقدم جمع قادم ، ومن يرويه بلفظ الرِجل فانه يقال (رجل من جراد) فيكون المراد يدخلها جماعة يشبهون في كثرتهم الجراد فيسرعون التهافت فيها . وقال القاضي (أبويعلى) : القدم صفة ذاتية ، قال ابن الزاغوني : يقول انما وضع قدمه في النار ليخبرهم ان أصنامهم تحترق وأنا لا أحترق . وهذا اثبات تبعيض وهو من أقبح الاعتقادات

ورأيت أبا بكر بن خزيمة قد جمع كتاباً في الصفات[1] وبوبه فقال : باب اثبات اليد ، باب امساك السموات على أصابعه ، باب اثبات الرجل وان رغمت المعتزلة ثم قال قال الله تعالى (ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها) فأعلمنا ان ما لا يد له ولا رجل فهو

المزيد فترتدع ه . وفي أساس البلاغة : من المجاز (فيضع قدمه عليها) أي فيسكنها ويكسر سورتها كما يضع الرجل قدمه على الشيء المضطرب فيسكنه .

(١) وهو الكتاب الذي يسميه (كتاب التوحيد) ، والامام فخر الدين الرازي يقول عنه : وهو في الحقيقة (كتاب الشرك) .

كالأنعام. قال ابن عقيل: تعالى الله ان يكون له صفة تشغل الأمكنة وليس الحق تعالى بذي اجزاء وابعاض فيعالج بها، ثم انه أليس يعمل في النار أمره وتكوينه حتى يستعين بشيء من ذاته ويعالجها بصفة من صفاته وهو القائل (كوني برداً وسلاما) فما أسخف هذا الاعتقاد وأبعده عن مكون الأملاك والأفلاك. وقد صرح بتكذيبهم فقال تعالى (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها) فكيف يظن بالخالق أن يردها تعالى الله عن تجاهل المجسّمة.

. . .

الحديث الثاني عشر: روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال — ضرس الكافر في النار مثل أحد وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار[1] —.

قال ابو عمر الزاهد: الجبار ههنا الطويل، يقال نخلة جبارة[2]؛

---

(١) يقول الشيخ اسماعيل العجلوني في كتابه (كشف الخفا ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس): رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً، وأحمد والطبراني والبيهقي عن ابن عمر مرفوعاً، والترمذي عن أبي هريرة (بألفاظ متقاربة).

(٢) قال ابن قتيبة في كتابه (تأويل مختلف الحديث) في كلامه على هذا الحديث: ونحن نقول ان لهذا الحديث مخرجاً حسناً ان كان النبي صلى الله عليه وسلم أراده وهو أن يكون الجبار ههنا الملك قال الله تعالى (وما أنت عليهم بجبار) أي بملك مسلط والجبابرة الملوك، وهذا كما يقول الناس: هو كذا وكذا

قال القاضي (ابويعلى) نحملها على ظاهرها والجبار هو الله عز وجل . قلت واعجبا أذهبت العقول الى هذا الحد ! ، أو يجوز أن يقال : ان الذراع اثنان واربعون مرة حتى يبلغ جلد الكافر و يضاف الى الذات القديمة ! تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا .

. . .

الحديث الثالث عشر : روى القاضي (أبويعلى) عن مجاهد أنه قال : اذا كان يوم القيامة يذكر داود عليه الصلاة والسلام ذنبه فيقول الله تعالى كن امامي فيقول يا رب ذنبي ذنبي فيقول كن خلفي فيقول يا رب ذنبي فيقول له خذ بقدمي . وفي لفظ عن ابن سيرين قال ان الله تعالى ليقرب داود حتى يضع يده على فخذه .

والعجب من اثبات ذلك للحق سبحانه وتعالى باقوال التابعين وما تصح عنهم ولو صحت فانما يذكرونها عن أهل الكتاب كما يذكر وهب ابن منبه ؛ قال القاضي (أبويعلى) نحمله على ظاهره لأننا لا نثبت قدماً وفخذا هو جارحة . واعجبا لقد كملوا هيئة البدن باثبات فخذ وساق وقدم ووجه و يدين وأصابع وخنصر وابهام وصعود ونزول و يقولون تحمل عَلَى ظاهرها وليست جوارح . وهل يجوز لعاقل ان يثبت لله تعالى خلفاً واماماً وفخذا ! ما ينبغي ان نحدث هؤلاء لأنا قد عرفنا

ذراعاً بذراع الملك يريدون : بالذراع الاكبر ، وأحسبه ملكاً من ملوك العجم كان تام الذراع فنسب اليه .

الفخذ فيقال ليس بفخذ والخلف ليس بخاف ومثل هؤلاء لا يحدثون فانهم يكابرون العقول كأنهم يحدثون الأطفال ·

· · ·

الحديث الرابع عشر : روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم — يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة — وفي افراد مسلم من حديث ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر عن آخر من يدخل الجنة وضحك فقيل مم تضحك فقال من ضحك رب العالمين ·

اعلم ان الضحك له معان ترجع الى معنى البيان والظهور وكل من أبدى عن أمر كان مستوراً قيل قد ضحك يقال ضحكت الارض بالنبات اذا ظهر فيها وانفتق عن زهره كما يقال بكت السماء ، قال الشاعر :

كل يوم بأقحوان جديد   تضحك الارض من بكاء السماء

وكذلك الضحك الذي يعتري البشر انما هو انفتاح الفم عن الأسنان وهذا يستحيل على الله سبحانه وتعالى فوجب حمله على معنى أبدى الله تعالى كرمه وفضله · ومعنى (ضحكت لضحك ربي) أبديت عن أسناني بفتح فمي لاظهار ربي كرمه وفضله · وقد روي في حديث موقوف — ضحك حتى بدت لهواته واضراسه — ذكره الخلال في كتاب السنة · وقال المروزي : قلت لأبي عبد الله ما تقول

في هذا الحديث ؟ قال يشفع ثم يقول على تقدير الصحة يحتمل أمرين : احدهما ان يكون ذلك راجعاً الى النبي صلى الله عليه وسلم كأنه ضحك حين أخبر بضحك الرب جل جلاله حتى بدت لهواته واضراسه وهذا هو الصحيح لو ثبت الحديث ؛ والثاني ان يكون تجوزاً عن كثرة الكرم وسعة الرضى كما جوز بقوله (ومن أتاني يمشي اتيته هرولة) . قال القاضي (أبويعلى) لا يمتنع الأخذ بظاهر الأحاديث وامرارها على ظواهرها من غير تأويل . قلت واعجبا قد أثبت لله تعالى صفات بأحاديث آحاد وألفاظ لا تصح وقد أثبت الأضراس فما عنده من الاسلام خبر .

. . .

الحديث الخامس عشر : روى القاضي (أبويعلى) عن عبد الله بن عمر موقوفاً انه قال — خلق الله تعالى الملائكة من نور الذراعين والصدر —

وقد اثبت به القاضي ذراعين وصدراً لله عز وجل . وهذا قبيح لأنه حديث ليس بمرفوع ولا يصح ، وهل يجوز أن يخلق مخلوق من ذات القديم ! هذا أقبح مما ادعاه النصارى .

. . .

الحديث السادس عشر : روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال — يدنى المؤمن من ربه فيضع عليه كنفه فيقول تعرف ذنب كذا — .

قال العلماء يدنيه من رحمته ولطفه ، قال ابن الانباري كنفه حياطته وستره ، يقال : قد كنف فلان فلاناً اذا حاطه وستره وكل شيء ستر شيئاً فقد كنفه ، ويقال للترس كنيف لأنه يستر صاحبه . قال القاضي (أبويعلى) يدنيه من ذاته . وهذا قول من لم يعرف الله سبحانه وتعالى ولا يعلم انه لا يجوز عليه الدنو الذي هو مسافة . وكذلك قوله : (انه ليدنو يوم عرفة) أي يقرب بلطفه وعفوه .

. . .

الحديث السابع عشر : روى مسلم في افراده من حديث معاوية ابن الحكم قال : كانت لي جارية ترعى غنماً لي فانطلقت ذات يوم فاذا الذئب قد ذهب بشاة فصككتها صكة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك علي فقلت ألا أعتقها قال ائتني بها فقال لها : أين الله تعالى قالت في السماء قال من انا قالت رسول الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعتقها فانها موءمنة .

قلت قد ثبت عند العلماء ان الله تعالى لا تحويه السماء ولا الارض ولا تضمه الأقطار وانما عرف باشارتها تعظيم الخالق جل جلاله عندها .

. . .

الحديث الثامن عشر : رواه ابو رزين قال قلت يا رسول الله اين كان ربنا قبل ان يخلق خلقه قال (كان في عماء ما تحته هواء ولا

فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء)[١] .

العماء السحاب واعلم ان الفوق والتحت يرجعان الى السحاب لا الى الله تعالى و (في) بمعنى فوق ، والمعنى : كان فوق السحاب بالتدبير والقهر . ولما كان القوم يأنسون بالمخلوقات سألوا عنها والسحاب من جملة خلقه ولو سئل عما قبل السحاب لأخبر أن الله تعالى كان ولا شيء معه كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (كان الله سبحانه وتعالى ولا شيء معه) ولسنا نختلف ان الجبار تعالى لا يعلوه شيء من خلقه بحال وأنه لا يحل في الاشياء بنفسه ولا يزول عنها لأنه لو حلّ بها كان منها ولو زال عنها لنأى عنها ..

. . .

الحديث التاسع عشر : روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير يقول من يدعوني فأستجيب له) .

روى حديث النزول عشرون صحابياً وقد سبق القول انه يستحيل عَلَى الله عز وجل الحركة والنقلة والتغير فيبقى الناس رجلين : أحدهما المتأول بمعنى انه يقرب برحمته وقد ذكر أشياء بالنزول فقال تعالى (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) وان كان معدنه في الارض وقال

---

(١) رواه الامام احمد في مسنده وابن جرير في تهذيب الآثار والطبراني في الكبير وأبو الشيخ في العظمة (جمع الجوامع للسيوطي)

تعالى (وأنزل لكم من الانعام ثمانية ازواج) ومن لم يعرف نزول الجمل كيف يتكلم في الجمل. والثاني الساكت عن الكلام في ذلك مع اعتقاد التنزيه، والواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة، وان النزول الذي هو انتقال من مكان الى مكان يفتقر الى ثلاثة أجسام جسم عال هو مكان لساكنه وجسم سافل وجسم منتقل من علو الى سفل وهـذا لا يجوز على الله عز وجل. قال ابن حامد : هو على العرش بذاته مماس له وينزل من مكانه الذي هو فيه وينتقل. وهذا رجل لا يعرف ما يجوز على الله تعالى. وقال القاضي (أبو يعلى) النزول صفة ذاتية ولا نقول نزوله انتقـال. وهذا مغالط ومنهم من قال يتحرك اذا نزل. وما يدري ان الحركة لا تجوز على الله تعالى. وقد حكوا عن الامام أحمد ذلك وهو كذب عليه [1] ولو كان النزول صفة

---

(١) حكى ذلك ابو يعلى في طبقاته عن احمد بطريق أبي العبـاس الأصطخري وهو كما قال المصنف نقل مفترى. وعجيب من ابن تيمية كتبه في معقوله — غير منكر — ما يرويه حرب بن اسماعيل الكرماني صاحب محمد بن كرام في مسائله عن احمد وغيره في حقه سبحانه ... يتكلم ويتحرك ... هـ. ونقل أيضاً عن نقض الدارمي — ساكناً أو مقرا — الحي القيوم يفعل ما يشاء ويتحرك اذا شاء ويهبط ويرتفع اذا شاء ويقبض ويبسط ويقوم ويجلس اذا شاء لأن امارة ما بين الحي والميت التحرك وكل حي متحرك لا محالة وكل ميت غير متحرك لا محالة هـ. بل يروى عنه نفسه انه نزل درجة وهو يخطب على المنبر في دمشق وقال : (ينزل الله كنزولي هذا). على ما أثبته ابن بطوطة من مشاهداته في رحلته. وقال الحافظ ابن حجر في (الدرر الكامنة) : ذكروا أنه ذكر

ذاتية لذاته كانت صفته كل ليلة تتجدد (١) وصفاته قديمة كذاته .

. . .

الحديث العشرون : روى البخاري ومسلم في الصحيحين عن ابي هريرة ان رجلا أتى النبي فقال إني مجهود فقال صلى الله عليه وسلم من يضيفه هذه الليلة فقام رجل من الأنصار فقال انا يا رسول الله فانطلق به الى امرأته فقال هل عندك شيء قالت لا الا قوت

(أي ابن تيمية) حديث النزول فنزل عن المنبر درجتين فقال (كنزولي هذا) فنسب الى التجسيم ه . ويقول بعض علماء دمشق بأنه رأى هذه الخطبة في مخطوط قديم بزيادة (لا) قبل (كنزولي) والله أعلم .

(١) مما يقوله ابن حزم الظاهري في حديث النزول : هذا انما هو فعل يفعله الله تعالى في سماء الدنيا من الفتح لقبول الدعاء وان تلك الساعة من مظان القبول والاجابة والمغفرة للمجتهدين والمستغفرين والتائبين ، وهذا معهود في اللغة تقول : نزل فلان عن حقه لي بمعنى وهبه لي وتطول به علي ، ومن البرهان على انه صفة فعل لا صفة ذات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم علق التنزل المذكور بوقت محدود وصح انه فعل محدث في ذلك الوقت مفعول حينئذ وقد علمنا ان ما لم يزل فليس متعلقاً بزمان البتة وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض ألفاظ الحديث المذكور ما ذلك الفعل وهو انه ذكر عليه السلام ان الله يأمر ملكاً ينادي في ذلك الوقت بذلك ، وايضاً فان ثلث الليل مختلف في البلاد باختلاف المطالع والمغارب يعلم ذلك ضرورة من بحث عنه فصح ضرورة انه فعل يفعله ربنا تعالى في ذلك الوقت لأهل كل أفق واما من جعل ذلك نقلة فقد قدمنا بطلان قوله في ابطال القول بالجسم ه .

صبياني فقال فعلليهم بشيء اذا اراد الصبية العشاء فنوميهم فاذا دخل ضيفنا فاطفئي السراج وأريه انا نأكل فقعدوا وأكل الضيف فلما اصبح غدا علَى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (لقد عجب الله تعالى من صنيعكما بضيفكما الليلة) .

وفي افراد البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (عجب الله من قوم جر بهم في السلاسل حتى يدخلهم الجنة) .

قال العلماء : العجب انما يكون من شيء يدهم الانسان مما لا يعلمه فيستعظمه وهو لا يليق بالخالق جل جلاله ، لكن معناه : عظم قدر ذلك الشيء عند الله لأن المتعجب من الشيء يعظم قدره عنده ، ومعنى السلاسل اكرهوا على الطاعة التي بها يدخلون ، وقال ابن الأنباري معنى عجب ربك : زادهم إنعاما واحسانا فعبر في هذا الحديث بالعجب عن ذلك .

...

الحديث الحادي والعشرون : روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (للّهُ أشد فرحا بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته اذا وجدها) .

قال المصنف : لما كان مسروراً بشيء راضياً قيل له فرح والمراد الرضى بتوبة التائب ولا يجوز أن يعتقد في الله سبحانه وتعالى التأثر الذي

يوجد في المخلوقين فان صفات الحق تعالى قديمة لا تحدث له صفة .

. . .

الحديث الثاني والعشرون : روى مسلم في افراده من حديث أبي موسى قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال : (ان الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط و يرفعه حجابه النور لو كشفه لأُحرقت سُبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه)[1] .

قوله (حجابه النور) ينبغي ان يعلم ان هذا الحجاب للخلق عنه لأنه لا يجوز أن يكون محجوباً لأن الحجاب يكون اكبر مما يستره وكما انه لا يجوز أن يكون لوجوده ابتداء ولا انتهاء لا يصح ان يكون لذاته نهاية وانما المراد أن الخلق محجوبون عنه كما قال تعالى (كلاّ انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وأما السبحات فجمع سبحة ويقال ان السبحة جلال وجهه ومنه قوله (سبحان الله) انما هو تعظيم له وتنزيه وقال القاضي (أبو يعلى) : لا يمنع اطلاق حجاب من دون الله تعالى لا على وجه الحد والمحاذاة . وهذا كلام مختلط يرضى به العوام .

. . .

---

(١) يقول النووي في شرح صحيح مسلم : والتقدير : لو أزال المانع من رؤيته وهو الحجاب المسمى نوراً أو ناراً وتجلى لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته .

الحديث الثالث والعشرون : روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال — ان اهل الجنة يرون ربهم تعالى في كل جمعة في رمال الكافور وأقربهم منه مجلساً أسرعهم اليه يوم الجمعة ·

قوله (في رمال الكافور) إشارة الى الحاضرين ثمّ في رمال الكافور وأقربهم منه أي احظاهم عنده ·

وفي حديث آخر : المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن · وقال بعضهم يمين العرش ، وفي حديث سوق الجنة : ولا يبقى في ذلك المجلس احد الا حاضره الله محاضرة · ويروى خاصره بالخاء المعجمة · وهذا يرويه يوسف بن عبد الله وهو خطأ والمخاصرة المصافحة وقال القاضي (أبو يعلى) : لا يمتنع ان يكون الحق تعالى في رمال الكافور · فقد أقر بالحصر ، ثم قال لا على وجه الانتقال · وهذا تلاعب ، ثم قال ولا يمتنع قربهم من الذات ، وهذا يضيع معه الحديث ، واستدل بقوله (ما منكم من أحد الا سيخلو به ربه تعالى) وقال : الخلوة عبارة عن القرب و يجوز القرب من الذات · وقد سبق ردّ هذا ·

· · ·

الحديث الرابع والعشرون : روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابن مسعود قال جاء حبر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يمسك السموات يوم القيامة على اصبع والارضين على

اصبع والجبال والشجر على اصبع وفي لفظ والماء والثرى على اصبع ثم يهزهن فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال (وما قدروا الله حق قدره . .)

قلت وظاهر ضحك النبي صلى الله عليه وسلم الانكار [١] ، واليهود مشبهة ونزول الآية دليل على انكار الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم وفي معنى هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم (ان قلوب بني آدم بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء) ولما كان القلب بين اصبعين ذليلاً مقهوراً دل هذا على ان القلوب مقهورة لمقلبها . وقال القاضي (أبو يعلى) : غير ممتنع حمل الخبر على ظاهره في اثبات الاصابع صفات راجعة الى الذات لأنا لا نثبت أصابع هي جارحة ولا أبعاض . وهذا كلام مخبط لأنه اما ان يثبت جوارح واما ان يتأولها وأما حملها على ظاهرها فظاهرها الجوارح ثم يقول ليست أبعاضا . فهذا كلام قائم قاعد ويضيع الخطاب لمن يقول هذا .

. . .

الحديث الخامس والعشرون : روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك

---

(١) يستبعد ابن خزيمة — وهو ممن وقع في خطإ التشبيه — أن يكون ضحك الرسول صلى الله عليه وسلم انكاراً ، وقد نقض الحافظ ابن حجر زعمه هذا في الفتح .

اين الجبارون اين المتكبرون ..) .[١] هكذا رواه مسلم وهي أتم الروايات ؛ قد ثبت بالدليل القاطع ان يد الحق سبحانه وتعالى ليست جارحة وان قبضته الاشياء ليست مباشرة ولا له كف وانما قربه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الافهام بما يدركه الحس ، وأما رواية الشمال فضعيفة بالمرة ، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (وكلتا يديه يمين مباركة)[٢] وهذا يوهن ذكر الشمال .

. . .

الحديث السادس والعشرون : رواه الامام احمد رحمه الله في مسنده من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل) قال قال هكذا يعني انه اخرج طرف الخنصر وفي لفظ فأومأ بخنصره فساخ . وروى ابن حامد (فلما تجلى ربه للجبل) قال خرج منه أول مفصل من خنصره .

هذا الحديث تكلم فيه علماء الحديث وقالوا لم يروه عن ثابت غير

---

(١) في الذي بين ايدينا من نسخ صحيح مسلم زيادة (ثم يطوي الارضين بشماله) .

(٢) يقول القتيبي عند الكلام على هذا الحديث : انما اراد بذلك معنى التمام والكمال لأن كل شيء فمياسره تنقص عن ميامنه في القوة والبطش والتمام ، وكانت العرب تحب التيامن وتكره التياسر لما في اليمين من التمام وفي اليسار من النقص ، ويجوز أن يريد العطاء باليدين جميعاً لان اليمنى هي المعطية فاذا كانت اليدان يمينين كان العطاء بهما والى هذا ذهب المرار حين قال :

وان على الاِوانة من عقيل فتى كلتا اليدين له يمين

حماد بن سلمة وكان ابن العوجاء الزنديق قد أدخل عَلَى حماد أشياء فرواها في آخر عمره ولذلك تجافى بعض أصحاب الصحيح الاخراج عنه ، ومخرج الحديث سهل وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرب به الى الافهام بذكر الحسيات فوضع يده على خنصره اشارة الى ان الله تعالى اظهر اليسير من آياته .

. . .

الحديث السابع والعشرون : روى القاضي (أبويعلى) عن عكرمة انه قال اذا اراد الله عز وجل ان يخوف عباده ابدى عن بعضه الى الارض فعند ذلك تتزلزل واذا اراد الله أن يدمدم على قوم تجلى لهم .

قال القاضي (أبويعلي) : (أبدى عن بعضه) هو على ظاهره وهو راجع الى الذات على وجه لا يفضي الى التبعيض . قلت ومن يقول أبدى عن بعض ذاته وما هو بعض لا يكلم وانما المراد أبدي عن آياته .

. . .

الحديث الثامن والعشرون : روى ابو الاخمص الجمحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك تأخذ موساك فتقطع أذن بعضها فتقول هـذه نحر وتشق أذن الأُخرى وتقول صرم قال نعم قال فلا تفعل فان موسى الله تعالى أحد من موساك وساعد الله تعالى أشد من ساعدك .

قال القاضي (أبويعلى) : لا يمتنع حمل الخبر على ظاهره في اثباته

الساعد صفة لذاته . قلت المراد بالساعد القوة لان قوة الانسان في ساعده وكان ينبغي أن يثبت الموسى أيضاً .

. . .

الحديث التاسع والعشرون : روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (ان العبد اذا قام الى الصلاة فانه بين عيني الرحمن) .

قد ذكرنا صفة العين في الآيات المذكورة قبل الأحاديث ، والمراد بالحديث ان الله تعالى يشاهد المصلي فليتأدب وكذلك قوله (فان الله تعالى قبل وجهه) أي يراه .

. . .

الحديث الثلاثون : روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها امرأة فقال صلى الله عليه وسلم من هذه قالت فلانة تذكر من صلاتها فقال صلى الله عليه وسلم (مه عليكم ما تطيقون فوالله لا يمل الله تعالى حتى تملوا) وفي لفظ (لا يسأم الله تعالى حتى تسأموا) .

قال العلماء معنى الحديث لا يمل الله تعالى وان مللتم كما قال الشاعر :

صليت مني هذيل بخرق لا يملّ الشرّ حتى يملوا

المعنى لا يملّ وان ملوا والا لم يكن له فضل عليهم . وقال قوم : من ملّ من شيء تركه ، والمعنى لا يترك الثواب ما لم يتركوا العمل ، واما الملل الذي هو كراهة الشيء والاستثقال له ونفور النفس عنه

والسآمة منه فمحال في حقه تعالى لأنه يقتضي تغيره وحلول الحوادث في حقه .

. . .

الحديث الحادي والثلاثون : روت خولة بنت حكيم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (ان آخر وطأة وطئها الرحمن بوجّ) .

وج واد بالطائف وهي آخر وقعة أوقعها الله تعالى بالمشركين على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم (اللهم اشدد وطأتك على مضر) مأخوذ من القدم والى هذا ذهب ابن قتيبة وغيره ، قال القاضي (أبو يعلى) غير ممتنع عَلَى أصولنا حمل هذا الخبر على ظاهره وان ذلك معنى بالذات دون الفعل لأنا حملنا قوله ينزل و يضع قدمه في النار على الذات . وهذا الرجل يشير بأصولهم الى ما يوجب التجسيم والانتقال والحركة وهذا مع التشبيه بعيد عن اللغة ومعرفة التواريخ وأدلة المعقول وانما اغتر بحديث روي عن كعب انه قال (وجّ مقدس منه عرج الرب الى السماء ثم قضى خلق الأرض) وهذا لو صح عن كعب احتمل ان يكون حاكياً عن أهل الكتاب وكان يحكي عنهم كثيراً ولو قدرناه من قوله كان معناه ان ذلك المكان آخر ما استوي من الارض لما خلقت ثم عرج الرب أي عمد الى خلق السماء وهو قوله تعالى (ثم استوى الى السماء وهي دخان) . ويروى عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (لما إسري بي مرّ بي

جبريل عليه الصلاة والسلام حتى اتى الصخرة فقال يا محمد من ههنا عرج ربك الى السماء) وهذا يرويه بكر بن زياد وكان يضع الحديث على الثقات . فان قيل قال ابن عباس رضي الله عنهما (استوى الى السماء) صعد قلنا صعد أمره اذ لا يجوز عليه الانتقال والتغير .

. . .

واعلم ان الناس في اخبار الصفات على ثلاث مراتب : احدها امرارها على ما جاءت من غير تفسير ولا تأويل الا ان تقع ضرورة كقوله تعالى (وجاء ربك) أي جاء أمره وهذا مذهب السلف . والمرتبة الثانية التأويل وهو مقام خطر[١] .

---

(١) يقول في شرح المشكاة : قال النووي في شرح مسلم : في هذا الحديث (حديث النزول) وشبهه من أحاديث الصفات وآياتها مذهبان مشهوران : فمذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين الايمان بحقيقتها على ما يليق به تعالى وان ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ولا نتكلم في تأويلها مع اعتقادنا تنزيه الله سبحانه عن سائر سمات الحدوث . والثاني مذهب اكثر المتكلمين وجماعة من السلف وهو محكي عن مالك والاوزاعي انما يتأول على ما يليق بها بحسب بواطنها فعليه الخبر مؤول بتأويلين اي المذكورين . وبكلامه وبكلام الشيخ الرباني أبي اسحق الشيرازي وامام الحرمين والغزالي وغيرهم من أئمتنا وغيرهم يعلم ان المذهبين متفقان على صرف تلك الظواهر كالمجيء والصورة والشخص والرجل والقدم واليد والوجه والغضب والرحمة والاستواء على العرش والكون في السماء وغير ذلك عما يفهمه ظاهرها لما يلزم عليه من محالات قطعية البطلان تستلزم اشياء يحكم بكفرها بالاجماع فاضطر جميع الخلف والسلف الى صرف اللفظ

والمرتبة الثالثة القول فيها بمقتضى الحس وقد عم جهلة الناقلين اذ ليس لهم حظ من علوم المعقولات التي يعرف بها ما يجوز على الله تعالى وما يستحيل فان علم المعقولات يصرف ظواهر المنقولات عن التشبيه فاذا عدموها تصرفوا في النقل بمقتضى الحس واليه اشار القاضي (أبو يعلى) بقوله: لا يمتنع ان يحمل التي وطئها الحق تعالى على اصولنا وانه معنى يتعلق بالذات . وأصولهم على زعمه ترجع الى الحس ، ولو فهموا ان الله تعالى لا يوصف بحركة ولا انتقال ولا تغير

عن ظاهره وانما اختلفوا هل نصرفه عن ظاهره معتقدين اتصافه سبحانه بما يليق بجلاله وعظمته من غير ان نؤوله بشيء آخر وهو مذهب اكثر اهل الخلف وهو تأويل تفصيل ولم يريدوا بذلك مخالفة السلف الصالح معاذ الله ان يظن بهم ذلك وانما دعت الضرورة في ازمنتهم لذلك لكثرة المجسمة والجهمية وغيرهما من فرق الضلال واستيلائهم على عقول العامة فقصدوا بذلك ردعهم وبطلان قولهم ومن ثمت اعتذر كثير منهم وقالوا : لو كنا على ما كان عليه السلف الصالح من صفاء العقائد وعدم المبطلين في زمنهم لم نخض في تأويل شيء من ذلك وقد علمت ان مالكاً والاوزاعي وهما من كبار السلف أولا الحديث تأويلاً تفصيلياً وكذلك سفيان الثوري أول الاستواء على العرش بقصد امره ونظيره (ثم استوى الى السماء) أي قصد اليها ومنهم الامام جعفر الصادق ، بل قال جمع منهم ومن الخلف : ان معتقد الجهة كافر كما صرح به العراقي وقال انه قول لأبي حنيفة ومالك والشافعي والاشعري والباقلاني ، وقد اتفق سائر الفرق على تأويل نحو (وهو معكم اينما كنتم) (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) الآية (فاينما تولوا فثم وجه الله) (ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) و — قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن — و — الحجر

ما بنوا على الحسيات ، والعجب انه يقر بهذا القول ثم يقول من غير نقلة ولا حركة فينقض ما بنى . ومن أعجب ما رأيت لهم ما ذكروا عن ابن أبي شيبة انه قال في كتاب العرش : ان الله تعالى قد أخبرنا انه صار من الارض الى السماء ومن السماء الى العرش فاستوى على العرش . قلت ونحن نحمد الله اذ لم يبخس حظنا من المنقولات ولا من المعقولات ونبرأ من اقوام شانوا مذهبنا فعابنا الناس بكلامهم .

. . .

الأسود يمين الله في الارض — وهذا الاتفاق يبين لك صحة ما اختاره المحققون ان الوقف على (الراسخون في العلم) لا الجلالة . قلت الجمهور على ان الوقف على (الا الله) وعدوا وقفه وقفاً لازماً وهو الظاهر لأن المراد بالتأويل معناه الذي أراده تعالى وهو في الحقيقة لا يعلمه الا الله جل جلاله ولا اله غيره وكل من تكلم فيه تكلم بحسب ما ظهر له ولم يقدر أحد أن يقول إن هذا التأويل هو مراد الله جزماً في التحقيق الخلاف لفظي ولهذا اختار كثيرون من محققي المتأخرين عدم تعيين التأويل في شيء معين من الاشياء التي تليق باللفظ ويكلون تعيين المراد بها الى علمه تعالى وهذا توسط بين المذهبين وتلذذ بين المشربين واختار ابن دقيق العيد توسطاً آخر فقال : ان كان التأويل من المجاز البين الشائع فالحق سلوكه من غير توقف او من المجاز البعيد الشاذ فالحق تركه وان استوى الامران فالاختلاف في جوازه وعدمه مسألة فقهية اجتهادية والامر فيها ليس بالخطر بالنسبة للفريقين . قلت التوقف فيها لعدم ترجيح احد الجانبين مع ان التوقف مؤيد بقول السلف ومنهم الامام الاعظم هـ . و يقول في شرح المشكاة ايضاً : والحاصل ان السلف والخلف مؤولون لاجماعهم على صرف اللفظ عن ظاهره ولكن تأويل السلف اجمالي لتفويضهم الى الله تعالى وتأويل الخلف تفصيلي لاضطرارهم اليه لكثرة المبتدعين هـ .

الحديث الثاني والثلاثون : روى أبو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : (ما تقرب العباد الى الله تعالى بمثل ما خرج منه)[١] وهو القرآن وفي حديث عفان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : (فضيلة

وفي (اشارة النبيه في كشف شبه أهل التشبيه املاء الشيخ نجم الدين أبي الفتح نصر الله بن العز بن سعد الله بن نجم الكاتب البغدادي) : وقد تأول العلماء والادباء والشعراء قديماً وحديثاً ولذلك قول بعضهم :

أقول بالخد خال حين اذكره | خوف الرقيب وما بالخد من خال
أبكي الى الشرق ان كانت منازلهم | بجانب الغرب خوف القيل والقال

ومن قال لا أقول بالتأويل ولا أشبه فقد تأول لانه اذا عدل عن معنى النزول عنده ومعنى اليمين في حديث (الحجر الأسود يمين الله في الارض) الى غير ذلك فقد تأول فلا محيص لكم عن التأويل بحال هـ .

ويقول العلامة الآلوسي في تفسيره عند الكلام على الوجه : والتأويل القريب الى الذهن الشائع نظيره في كلام العرب مما لا بأس به عندي ، على ان بعض الآيات مما أجمع على تأويلها السلف والخلف والله تعالى اعلم بمراده هـ . وقال أيضاً : وأنا أميل الى التأويل وعدم القول بالظواهر مع نفي اللوازم في بعض ما ينسب الى الله مثل قوله تعالى (سنفرغ لكم ايها الثقلان) ، وقوله صلى الله عليه وسلم (الحجر الاسود يمين الله في ارضه فمن قبله أو صافحه فكأنما صافح الله تعالى وقبل يمينه) فأجعل الكلام فيه خارجاً مخرج التشبيه لظهور القرينة ، ولا أقول : الحجر الاسود من صفاته كما قال السلف في اليمين هـ .

وقد عقد ابن المعلم في كتابه (نجم المهتدي ورجم المعتدي) باباً سرد فيه جماهير المؤولين (فيما يظهر فيه وجه الكلام) من الصحابة والتابعين وغيرهم .

(١) الذى في الجامع الكبير للسيوطي : (ما تقرب العباد الى الله بشيء احب اليه مما خرج منه) ابن السني عن زيد بن أرطأة عن ابي امامة .

القرآن على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه ان القرآن منه خرج واليه يعود) . والمعنى وصل الينا من عنده واليه يعود فيرفع .

. . .

الحديث الثالث والثلاثون : روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : ان الله تعالى قرأ طه ويس قبل ان يخلق آدم بألف سنة فلما سمعت الملائكة قالوا طوبى لأمة ينزل عليهم وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسن تتكلم به .

هذا حديث موضوع يرويه ابراهيم بن المهاجر عن عمر بن حفص واما عمر بن حفص فقال الامام احمد بن حنبل : حرقت أحاديثه ، وقال يحيى بن معين : ليس بشيء وقال ابو حاتم بن حبان الحافظ : هذا متن موضوع .

. . .

الحديث الرابع والثلاثون : روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين ان أصل من وصلك وأقطع من قطعك)[1]

(١) في شرح صحيح مسلم للامام النووي : قال القاضي عياض : الرحم التي توصل وتقطع وتبر انما هي معنى من المعاني ليست بجسم وانما هي قرابة ونسب تجمعه رحم والدة ويتصل بعضه ببعض فسمي ذلك الاتصال رحما ، والمعنى لا يتأتى منه

وفي لفظ أخرجه البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (ان الرحم شجنة من الرحمن) .

قال ابو عبيد الشجنة كالغصن من الشجرة ومعنى شجنة أي قرابة مشتبكة كاشتباك العروق والشجر تشجن اذا التف بعضها ببعض .

قلت لا يخلو هذا الحديث من أحد أمرين إما ان يراد أن الله تعالى يراعي الرحم فيصل من يصلها و يقطع من قطعها و يأخذ لها حقها كما يراعي القريب قرابته كأنه يزيد في المراعاة على الاجانب أو أن يراد أن الرحم حروف الرحمن فكأنه عظم قدرها بهذا الاسم ويؤكد هذا حديث عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (قال الله تعالى انا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته) وقد ورد هذا الحديث بلفظ لم يخرج في الصحاح (الرحم شجنة من الرحمن تعلق بحقوي الرحمن تقول اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني) وفي لفظ (الرحم شجنة آخذة بحقو الرحمن) وفي لفظ (لما خلق الله تعالى الخلق قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة) . وهذه كلها امثال ترجع الى ما بيناً ، ومعنى تعلقها بحقو الرحمن

القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب في استعمال ذلك ، والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصليها وعظيم اثم قاطعيها بعقوقهم .

الاستجارة والاعتصام[1] قال أبو بكر البيهقي : الحقو الازار والمعنى تتعلق بعزه . قال ابن حامد : يجب التصديق بأن لله حقواً فتأخذ الرحم بحقوه ، قال وكذلك نؤمن بأن لله تعالى جنباً لقوله تعالى (على ما فرطت في جنب الله) . وهذا لا فهم له اصلا ، كيف يقع التفريط في جنب الذات نعوذ بالله من سوء الفهم .

. . .

الحديث الخامس والثلاثون : روى البخاري في صحيحه[2] ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (يقول الله عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما عذبته) .

قال أبو سليمان الخطابي : وفي الكلام ان الكبرياء والعظمة صفتان لله تعالى اختص فيهما لا يشركه فيهما أحد ولا ينبغي لمخلوق ان يتعاطاهما لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل وضرب الازار والرداء مثلا ، يقول والله تعالى اعلم : كما لا يشرك الانسان في ردائه وازاره احد كذلك لا يشركه في الكبرياء والعظمة مخلوق .

. . .

---

(١) قال في النهاية : والحقو فيه مجاز وتمثيل ومنه قولهم : عزت بحقو فلان اذا استجرت به واعتصمت ﻫ . وفي أساس البلاغة : لاذ بحقويه اذا فزع اليه .

(٢) يقول العجلوني في كشف الخفا ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس : رواه مسلم وابن حبان وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة

الحديث السادس والثلاثون : روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم (انا عند ظن عبدي بي وأنا معهُ حين يذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وان تقرب الي شبراً تقربت اليه ذراعا وان أتاني يمشي أتيته هرولة) .

فذهب القاضي (أبويعلي) الى ان لله تعالى نفساً هي صفة زائدة عن الذات . وهذا قول مبتدع ينوع به التشبيه لايفرق بين الذات والنفس . وما المانع ان يكون المعنى : ذكرته أنا ، وقد سبق هذا في الكلام على الآيات . والتقريب والهرولة توسع في الكلام[1] كقوله تعالى (والذين سعوا في آياتنا) لا يراد به المشي .

. . .

الحديث السابع والثلاثون : روى أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال) ان الله تعالى جميل يحب الجمال[2]

والحاكم (بالفاظ متقاربة) ، وممن أخرجه بلفظ الترجمة القضاعي عن أبي هريرة والحكيم الترمذي عن أنس هـ . ولم يذكر البخاري فليحرر .

(١) في تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة عند الكلام على التقرب والهرولة : ونحن نقول : إن هذا تمثيل وتشبيه وإنما أراد : من أتاني مسرعاً بالطاعة أتيته بالثواب أسرع من اتيانه .

(٢) أثبت العجلوني في كشف الخفا ومزيل الالباس هذا الحديث وقال : رواه أحمد عن أبي ريحانة ، ومسلم والترمذي عن ابن مسعود ، وأبو يعلى

قال العلماء : الجميل المجمل بتحسين الصور والاخلاق والاحسان ؛ والذي أراه ان الجميل الذي اوصافه تامة مستحسنة . وقد فسر القاضي (أبويعلى) بما لا يليق بالحق سبحانه وتعالى فقال : غير ممتنع وصفه بالجمال فان ذلك راجع الى الذات لأن الجمال في معنى الحسن قال وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم (رأيت ربي في أحسن صورة) .

. . .

الحديث الثامن والثلاثون : روى القاضي (أبويعلى) عن عمر بن عبد العزيز قال : اذا فرغ الله تعالى من أهل الجنة والنار أقبل يمشي في ظلل من الغمام والملائكة فيقف على أول درجة فيسلم عليهم فيردون عليه السلام فيقول سلوني فيقولون ما ذا نسأل وعزتك وجلالك وارتفاعك في علو مكانك لو أنك قسمت علينا رزق الثقلين لأطعمناهم وسقيناهم ولم ينقص ما عندنا فيقول تعالى بلى سلوني فيقولون نسألك رضاك قال تعالى رضائي احلكم دار كرامتي فيفعل هذا بأهل كل درجة حتى ينتهي الى مجلسه .

هذا حديث مكذوب به على عمر . وبعد فكيف يثبت لله تعالى صفة بقول عمر ! . قال القاضي (أبويعلى) : يشهد لحديث عمر قوله

والبيهقي عن أبي سعيد ، والطبراني عن أبي أمامة وابن عمر وجابر ، وابن عدي في الكامل عن ابن عمر .

تعالى (يأتيهم الله في ظلل من الغمام) . ولم يدر أن المعنى يأتيهم الله بظلل من الغمام .

. . .

الحديث التاسع والثلاثون : روي عن عائشة رضي الله عنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود قال صلى الله عليه وسلم (وعدني ربي عز وجل بالقعود على العرش) .

هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن حامد : يجب الايمان بما ورد به من المماسة والقرب من الحق تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في اقعاده على العرش قال وقال ابن عمر (وان له عندنا لزلفى) قال ذكر الدنو منه حتى يمس بعضه . وهذا كذب على ابن عمر ، ومن ذكر تبعيض الذات كفر بالاجماع .

. . .

الحديث الأربعون : روى الدار قطني من حديث أبي اسحق عن عبد الله بن خليفة عن عمر رضي الله تعالى عنه ان امرأة جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ادع الله تعالى ان يدخلني الجنة فعظم الرب عز وجل فقال صلى الله عليه وسلم ان كرسيه وسع السموات والارض وان له أطيطا كأطيط الرحل الجديد اذا ركب من ثقله .

هذا حديث مختلف جداً وقد رواه ابو اسحق عن ابن خليفه عن ابن

عمر قال : اذا جلس تبارك وتعالى على الكرسي سمع له أطيط كأطيط الرحل ؛ رواه ابن جرير ان عبد الله بن خليفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كرسيه وسع السموات والارض وانه ليقعد عليه فما يفضل منه مقدار أربع اصابع ثم قال بأصبعه فجمعها وان له لأطيطاً كأطيط الرحل اذا ركب من ثقله . هذا على ضد اللفظ الاول وكل ذلك من تخليط الرواة وسوء الحفظ والأليق فما يفضل منه مقدار أربع أصابع والمعنى انه قد ملأه بهيبته وعظمته ويكون هذا ضرب مثل لقدر عظمة الخالق جل جلاله وقول الرواة : (اذا قعد) و (اذا جلس) من تغييرهم ومن تعبيرهم بما يظنونه كما قال القائل (ثم استوى على العرش) قعد . وانما قلنا هذا لأن الخالق تعالى لا يجوز أن يوصف بالجلوس فيفضل ذلك الشيء لأن هذه صفة الأجسام .

. . .

الحديث الحادي والاربعون : روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت ان الله تعالى يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً الى النار) .

انفرد بلفظ الصوت حفص بن غياث وخالفه وكيع وجرير وغيرهما فلم يذكروا الصوت وسئل الامام احمد عن حفص قال — كان يخلط في حديثه . وفي الحديث الصحيح : (اذا تكلم الله بالوحي سمع اهل السماء

كجر السلسلة على الصفا) . وفي حديث ابن مسعود : (اذا تكلم الله بالوحي سمع اهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفـا) وليس في الصحيح (سمع صوته اهل السماء) .

. . .

الحديث الثاني والاربعون : روى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما كلم الله موسى يوم الطور كلمه بغير الكلام الذي كلمه به يوم ناداه فقال له يا موسى اني كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ولي قوة الالسنة كلها وأنا اقوى من ذلك فلما رجع الى بني اسرائيل قالوا صف لنا كلام الرحمن قال لا أستطيع قالوا قربه لنا قال ألم تروا صوت الصواعق التي تقبل بأحلى كلام سمعتموه .

هذا حديث لا يصح يرويه علي بن عاصم عن الفضل بن عيسى ، قال النسائي : علي بن عاصم متروك الحديث ، وقال يزيد بن هرون : ما زلنا نعرفه بالكذب .

. . .

الحديث الثالث والاربعون : روى القاضي (أبويعلى) عن حسان بن عطية انه قال : الساجد يسجد على قدم الرحمن . هذا قول تابعي وهو مثل للقرب من فضل الله تعالى . وأثبت القاضي (ابويعلى) بهذا وصف قدم وأنه يسجد على قدمه حقيقة لا على وجه المماسة .

. . .

الحديث الرابع والاربعون : روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : (جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وليس بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن) .

الرائي في جنة عدن لا المرئي لأنه لا تحيط به الامكنة . وقال القاضي (أبويعلى) : ظاهر الحديث ان المرئي في جنة عدن . وهذا التجسيم المحض . ورداء الكبرياء ما له من الكبرياء والعظمة وكأنه ان منعهم فلعظمته وان شاء كشف لهم ؛ وقد تكلمنا على الوجه في الآيات وقلنا المراد هو .

. . .

الحديث الخامس والاربعون : روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لما قضى الله تعالى الخلق كتب في كتابه فهو عنده[1] فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي) وفي لفظ (سبقت) .

قال القاضي (أبويعلى) ظاهر قوله (عنده) القرب من الذات . واعلم ان القرب من الحق تعالى لا يكون بمسافة انما ذلك من صفة الأجسام وقد قال تعالى (مسومة عند ربك) .

---

(١) يقول العلامة العيني في شرح صحيح البخاري : والعندية ليست مكانية بل هو اشارة الى كمال كونه مكنونا عن الخلق مرفوعا عن حيز ادراكهم .

الحديث السادس والاربعون : روي عن بعض التابعين انه قال : خلق الله آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده ·

هذا لا يثبت عن قائله، وقد تكلمنا على قوله تعالى (لما خلقت بيدي)·

· · ·

الحديث السابع والاربعون : روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (وسع كرسيه السموات والأرض) انه قال : كرسيه موضع قدمه والعرش لا يقدر قدره ·

رواه جماعة من الاثبات فوقفوه على ابن عباس ورفعه منهم شجاع ابن مخلد[1] فعلم بمخالفته الكبار المتقنين انه قد غلط · ومعنى الحديث ان الكرسي صغير بالاضافة الى العرش كمقدار كرسي يكون عند سرير قد وضع لقدمي القاعد على السرير، قال الضحاك : الكرسي الذي تجعل عليه الملوك اقدامهم ، وقال القاضي (أبويعلى) : القدم قدم الذات وهي التي يضعها في النار ·

· · ·

الحديث الثامن والاربعون : حديث العباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض والله تعالى فوق ذلك ·

---

(١) يقول الحافظ ابن حجر في (تقريب التهذيب) : شجاع بن مخلد الفلاس أبو الفضل البغوي نزيل بغداد صدوق وهم في حديث واحد رفعه وهو موقوف فذكره بسببه العقيلي في الضعفاء ·

هذا الحديث لا يصح تفرد به يحيى بن العلاء قال الامام أحمد هو كذاب يضع الحديث . وقد تكلمنا في الفوق في قوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده) . قال القاضي (أبويعلى) : المراد من الفوقية استواء الذات على العرش . وهذا الكلام أصله التجسيم .

. . .

الحديث التاسع والاربعون : روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى يكون مثل الجبل) وفي لفظ أخرجه مسلم (فتربو في كف الرحمن حتى تكون اعظم من الجبل) .

قال العلماء : هذا خطاب للناس بما يعلمونه و يفهمونه من الأخذ والتربية والنمو ، ولما كان التناول باليد والقبض بالكف خاطبهم بما يعقلون ، وانما جرى ذكر اليمين لأنها مرصدة لما عز من الأمور ؛ ومعنى التربية المضاعفة .

الحديث الخمسون : روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الدجال فقال (الا انه اعور وان ربكم ليس بأعور)[1] .

---

(١) لفظ الحديث في صحيح البخاري (ان الله ليس بأعور وأشار بيده الى

قال العلماء : انما اراد تحقيق وصفه بأنه لا يجوز عليه النقص ولم يرد اثبات جارحة لأنه لا مدح في ثبات جارحة بل كأنه قال الا ربكم ليس بذي جوارح يتسلط عليها النقائص وهذا مثل نفي الولد عنه لانه يستحيل عليه التجزي . ولو كانت الاشارة الى صورة كاملة لم يكن في ذلك دليل على الالهية ولا القدم فان الكامل في الصورة كثير .

. . .

الحديث الحادي والخمسون : روى البخاري في افراده من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم (ان الله تعالى قال ما يزال عبدي

عينه وان المسيح الدجال أعور عين اليمنى) وقد قال الحافظ ابن حجر : ان الاشارة الى عينه صلى الله عليه وسلم انما هي بالنسبة الى عين الدجال فانها كانت صحيحة مثل هذه ثم طرأ عليها العور لزيادة كذبه في دعوى الالهية وهو انه كان صحيح العين مثل هذه فطرأ عليها النقص ولم يستطع دفع ذلك عن نفسه ه .

وقال الفخر الرازي في (أساس التقديس) عند الكلام على هذا الحديث : وأما هذا الخبر فمشكل لأن ظاهره يقتضي ان النبي صلى الله عليه أظهر الفرق بين الإله تعالى وبين الدجال بكون الدجال أعور وكون الله تعالى ليس بأعور وذلك بعيد ، وخبر الواحد اذا بلغ هذه الدرجة في ضعف المعنى وجب ان يعتقد أن الكلام كان مسبوقاً بمقدمة لو ذكرت لزال هذا الإشكال ، أليس راوي هذا الحديث هو ابن عمر ثم ان المشهور أن ابن عمر لما روى حديث (ان الميت ليعذب ببكاء أهله) طعنت عائشة رضي الله عنها فيه وذكرت أن هذا الكلام من الرسول كان مسبوقاً بكلام آخر واحتجت على ذلك بقوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) لو حكي لزال هذا الاشكال فكذا ههنا انه من البعيد صدور مثل هذا الكلام من الرسول ه .

يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته) .

قوله كنت سمعه وبصره مثل وله أربعة اوجه : أحدها كنت كسمعه وبصره فهو يحب طاعتي كما يحب هذه الجوارح ، الثاني ان كليته مشغولة بي فلا يصغي الى غير ما يرضيني ولا يبصر الا عن أمري ، الثالث اني احصل له مقاصده كما ينالها بسمعه وبصره ويده اللواتي تعينه ، وأما التردد فخطاب لنا بما نعقل .

. . .

الحديث الثاني والخمسون : روى جبير بن مطعم قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي فقال يا رسول الله جهدت الأنفس وجاع العيال وتهتكت الأموال وهلكت الأنعام فاستسق الله لنا فأستشفع بالله عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك تدري ما تقول وسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ثم قال صلى الله عليه وسلم انه لا يستشفع بالله على احد من خلقه شأن الله اعظم من ذلك ويحك أتدري ما الله ان عرشه على سمواته هكذا وقال بأصابعه مثل القبة وانه ليئط به أطيط الرحل بالراكب .

ومعنى قوله أتدري ما الله أي اتدري ما عظمة الله تعالى وجلاله

ومعني يئط به أي يعجز عن عظمته وجلاله اذ كان معلوماً ان اطيط الرحل بالراكب انما يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله فقرب بهذا النوع من عنده معنى عظمة الله وجلاله ليعلم أن الموصوف بعلو الشأن لا يجعل شفيعاً الى من هو دونه في القدر ، وقد ذكرنا فيما تقدم عن القاضي (أبي يعلى) : يئط من ثقل الذات . وهذا صريح التجسيم .

. . .

الحديث الثالث والخمسون : روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ (انه كان سميعاً بصيرا) فوضع اصبع الدعاء وابهامه على عينيه وأذنه .

قال العلماء : اراد بهذا تحقيق السمع والبصر منه فأشار الى الجارحتين اللتين هما السمع والبصر لا ان لله سبحانه وتعالى جارحة .

. . .

الحديث الرابع والخمسون : روي ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ان الله عز وجل ينزل في ثلاث ساعات بقين من الليل فيفتح الذكر في الساعة الأولى فيمحو ما يشاء و يثبت ثم ينزل في الساعة الثانية الى جنة عدن وهي داره التي لم يسكنها غيره وهي مسكنه ثم يقول طوبي لمن دخلك ثم ينزل في الثالثة الى سماء الدنيا بروحه وملائكته فيقول بعزتي .

هذا الحديث يرويه زيادة بن محمد الانصاري قال البخاري : وهو

منكر الحديث وقال ابو حاتم بن حبان : يروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك ، ونقول على تقدير الصحة انها مضافة اليه كما اضيف البيت اليه فهذا بيته وذاك مسكنه ، وانما قلت هذا لأن السكنى مستحيلة في حقه سبحانه وتعالى .

. . .

الحديث الخامس والخمسون : روى ابو أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (وعدني ربي ان يدخل الجنة من امتي سبعون الفا وثلاث حثيات من حثياته عز وجل) .

الحثية ملء الكف والمراد التقريب بما نعقل لا حقيقة الحثية .

. . .

الحديث السادس والخمسون : روى أبو أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : ان الله يجلس يوم القيامة على القنطرة بين الجنة والنار .

يرويه عثمان بن ابي عاتكة وعن يحيى ليس بشيء .

. . .

الحديث السابع والخمسون : روى القاضي (أبويعلى) عن محمد بن كعب قال كان الناس اذا سمعوا القرآن من في الرحمن لم يسمعوه قط .

قال القاضي (أبويعلى) : ولا يمتنع ان يطلق الفم عليه . قلت واعجبا يعني (في) الرحمن فمه فيثبت لله تعالى صفة بقول تابعي لا تصح الرواية

عنه ، هذا من أقبح الأشياء . فأما الحديث الذي قد سبق عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مـا تقرب العباد الي بمثل ما خرج مني فالمعنى : ظهر عنه ولا يجوز أن يظن انه كخروج جسم من جسم .

. . .

الحديث الثامن والخمسون : روينا عن سهل بن سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دون الله تعالى سبعون الف حجاب من نور وظلمة وما من نفس تسمع شيئاً من حسن تلك الحجب الا زهقت .

هذا حديث لا أصل له .

. . .

الحديث التاسع والخمسون : رواه أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله تعالى لوحاً احد وجهيه درة والآخر ياقوتة قلمه النور فبـه يخلق وبه يرزق وبه يحيي وبه يميت ويعز ويذل ويفعل ما يشـاء في يوم وليلة .

هذا حديث موضوع يرويه محمد بن عثمان وهو متروك الحديث .

. . .

الحديث الستون : روى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (اذا رأيتم الريح فلا تسبوه فانها من نفس الرحمن تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فاسألوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها) .

النفس بمعنى التنفيس عن المكروب [1] ومثله ما روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (إني لأجد نفس ربكم من جهة اليمن) يعني تنفيسه عن الكرب بنصرة اهل المدينة اياي ، والمدينة من جانب اليمن وهذا شيء لا يختلف فيه المسلمون . وقال ابن حامد رأيت بعض اصحابنا يثبتون لله تعالى وصفاً في ذاته بأنه يتنفس قال وقالوا الرياح الهابة مثل العاصف والعقيم والجنوب والشمال والصبا والدبور مخلوقة الا ريحاً من صفاته هي ذات نسيم خيالي وهي من نفس الرحمن . قلت على من يعتقد هـذا اللعنة لأنه يثبت جسداً مخلوقاً ، ما هؤلاء بمسلمين .

قال المصنف : ولمـا علم بكتابي هذا جماعة من الجهال لم يعجبهم لأنهم الفوا كلام رؤسائهم المجسمة فقالوا ليس هذا المذهب قلت ليس مذهبكم ولا مذهب من قلدتم من اشياخكم فقد نزهت مذهب الامام احمد ونفيت عنه كذب المنقولات وهذيان المقولات غير مقلد فيما اعتقده و كيف اترك بهرجاً وانا انقده وقلت :

سبقت بحمد الله من كان من قبلي فقل للذي يرجو لحاقي على مهل
وانكمُ لو تنقصون عتابكم لعز على التفتيش ان تجدوا مثلي

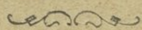
(١) يقول الزمخشري في اساس البلاغة : ومالي نفَس أي فرَج . وقال ابن قتيبة : وقد فرج الله عن نبيه صلى الله عليه وسلم بالريح يوم الأحزاب ، قال تعالى (فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها) .

ثم قصيدة مطولة وهي :

حمدت الهي كيف لا وله الفضل كما قد تولاني فذات لي السبل
وأخرجني من بين أهلي مفهما وعلمني علماً به قيمتي تغلو
وحركني للمكرمات أحوزها فهمة نفسي دائماً أبداً تعلو
وألهمني بالعلم حتى ملكته فصار مرير الصبر عند فمي يحلو
وقد زاد عشقي للعلوم فأصبحت كتمثال ليلى عند قيس فما يسلو
فما من علوم بثها الله في الورى الى خلقه الا ولي معها وصل
وصنفت ماقد صنف الناس جنسه فياقاصدي الانصاف لي ميزوا وابلوا
ولي من بديهات الكلام عجائب تكر عليهم كلما طوات تحلو
وقد قادني علمي الى الزهد في الدنا وما جمعا الا لعبد له فضل
نعم وتقاة الله أشرف خلة ولا خير في قول اذا ضيع الفعل
قنوعي بما يكفي يقيني من الاذى وبعد يقيني بالمقادير لا ذل
وأحسن من علم ترامى بأهله الى مين مخلوق يماثله الجهل
وأسكن قلبي حب كل محقق عشقت كما قد تعشق الأعين النجل
وبغداد دار ليس يغبن أهلها وما حبهم الا لمن ماله شكل
وكل البلاد أشحنتها فضائلي أقر بفضلي الدين والحزن والسهل
وذكري وراء النهر بالفضل وافر وفي المغرب الأقصى ومابلغت ابل
ولما نظرت في المذاهب كلها طلبت الأسد في الصواب وما اغلو
فألفيت عند السبر قول ابن حنبل يزيد على كل المذاهب بل يعلو

وكل الذي قد قاله فمشيد بنقل صحيح والحديث هو الأصل
وكان بنقل العلم أعرف من روى يقوم بأنباء وان شانه عضل
ومذهبه ان لا يشبه ربه ويتبع في التسليم من قد مضى قبل
فقام له الحساد من كل جانب فقام على رجل الثبات وهم زلوا
وكان له أتباع صدق تتابعوا فكم أرشدوا نحو الهدى ولكم دلوا
وجاءك قوم يدعون تمذهباً بمذهبه ما كل فرع له أصل
فلا في الفروع يثبتون لنصره وعندهم عن فهم ما قاله شغل
اذا ناظروا قاموا مقام مقاتل فواعجبا والقوم كلهمُ عزل
قياسهمُ طرداً اذا صدروا به وهم من علوم النقل أجمعها عطل
اذا لم يكن في النقل صاحب فطنة تشابهت الحيات وانقطع الحبل
ومالوا الى التشبيه اخذاً بصورة الـ لذي نقلوه في الصفات وهم غفل
وقالوا الذي قلناه مذهب أحمد فمال الى تصديقهم من به جهل
وصار الأعادي قائلين لكلنا مشبهة قد ضرنا الصحب والخل
فقد فضحوا ذاك الامام بجهلهم ومذهبه التنزيه لكن هم اختلوا
لعمري لقد أدركت منهم مشايخاً وأكثر من أدركته ما له عقل
وما زلت أجلو عنهمُ كل خلة من الاعتقاد الرذل كي يجمع الشمل
تسموا بألقاب ولا علم عندهم فوائدهم لا حرم فيها ولا حل
موائدهم لا يلحق الخل بقلها وان شئت لا خل عليها ولا بقل
وأكثر حساد لنا أهل مذهبي فلو قدروا افتوا بان دمي حل

تمنوا بجهل ان تزل بي النعل ... ولم تمش في مجد بمثلي لهم رجل
ومنذ مضى شيخ الجماعة أحمد ... الى الآن لم يوجد لعالمكم مثل
لقد بات عندي ألف الف يقوموا ... سحابة وعظي كلهم صيب وبل
وروضات علمي كلها تمرح الجنا ... وبستانهم اذ ما تأملته أثل
وكيف ترى تبري الحسود وداؤه ... اذا سئل الطب الخبير به يسلو
تفرد بالبغض القبيح مخالف ... أليس اجتماع الناس لي شاهدعدل



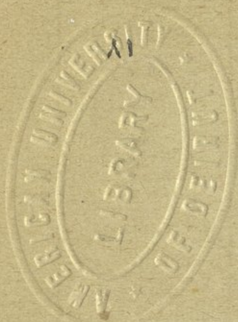
تم كتاب دفع شبهة التشبيه للامام ابن الجوزي



جاء في آخر (مجلس في نفي التشبيه من أمالي الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله الشافعي) : أنشدنا ابو عبد الله محمد بن الحسن بن منصور المؤمل لنفسه :

الله اكبر ان يكون لذاته ... كيفية كذوات مخلوقاته
او ان تقاس صفاتنا في كلما ... نبديه من افعالنا بصفاته
تبا لذي سفه يقول بأنه ... جسم وان سماتنا كسماته
لبديع صنعته عليه شواهد ... تبدو على صفحات مصنوعاته
ذرأ الأنام بقدرة أزلية ... واراده فيهم لتقديراته
ورأى بعين العلم ما تأتي به ... لحات أعينهم وما لم تأته





فهرس دفع شبهة التشبيه لابن الجوزيّ وما علق عليه : ت

الصفحة

فهرس الصفات الواردة في الآيات والأحاديث

— صحيحها ومختلقها — المذكورة في هذه الرسالة مرتبة على حروف المعجم

زيادة جملة واصلاح غلط

يجب اضافة الجملة الآتية ذيلا لترجمة ابن قتيبة في آخر الصفحة ٢٩ : على ان له احيانا مدارك قوية في ابطال مزاعم المشبهة ، قد اثبتنا بعضها في التعليق .

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
١٠	١٧	الألفاظ	الألفاظ
٣٢	٢	هربرة	هريرة
٤٩	١٤	هربرة	هريرة
٧١	٦	هربرة	هريرة
٧٢	٧	هربرة	هريرة
٣٥	٩	يرون	يروون
٣٧	٩	لمعتمد	المعتمد
٤١	١١	عمرو	عمر

DATE DUE



